

الطبعة الثانية

الطبعة الثانية



**المنسوبة**



أَجْهَادُ كَرِيسْتُو

# الضَّحْيَةُ

تقدير  
عشرين العزيزتين

الكتاب  
للمطبوعات  
بيروت - لبنان

**جميع الحقوق محفوظة**

**( للكتابة الثقافية )**

**الطبعة الثانية**

## الضفجية

### الفصل الأول

كان الطلبة يسرعون فوق درج الجامعة ، وخلال أبوابها العريضة ،  
إلى اليمو الفسيح حيث يتفرقون جماعات متوجهين إلى قاعات الحاضرات  
المختلفة ، وقد خلا الفناء الخارجي منهم ، عندما قدمت فتاتان في ميعاد  
الصبا ثرولان في لفة .. أطهرا تأخرتا عن الموعد المقرر ، وان  
استاذها ، رغم دعائة خلفه ولبن جانبه ، لا يطيق البتة أن يحضر أحد  
طليبته بعد بدء الحاضرة ..

وانطلقتا بهموري الأنفاس تجتازان اليمو الكبير في خطى سريعة ،  
فبلغت إحداهما قاعة الحاضرات التي تقصداها ..

وخففت في ارتجاع :  
- شكرأ الله ا . لقد وصلنا في اللحظة الملائمة ..  
ولكنها إذ استدارت تستعث رفيقتها ..  
لم تجدها خلفها ..

بل رأتها دراء جهراً من الطلبة وغيرهم كانوا يتدافعون إلى إحدى  
القاعات الأخرى !

فأسرعت عائدة نحوها تهتف بها في صبر نافذ :

- هيا بنا .. الم يكفي تأخيراً حق الآن !

وكان مصاحبها تقول :

- إنها حاضرة طيبة ، ولكنني لا أدرى مَا الذي يستجلب كل  
هؤلاء الناس لسماعها ، ويرودي أن أعرف سر تهافتهم عليها ..

فأجابها شاب يرتدي معطفاً أبيض ..

كان يقف على مقرية منها :

- إنها عن « التحليل الطبي لمروءة الجريمة » !

فتحولت إلى صديقتها لشير عليها بأن تدخل لسماعها ، فقللت هذه

مقدمة :

- من المحاضر ؟

ولكن الجواب ضاع بين ضجيج الطلبة داخل القاعة ، وهم يصيحون  
طالبين إغلاق الباب !

وعندئذ جذبت الفتاة رفيقتها إلى الداخل حيث كان المدرج مكتظاً

بعدد كبير من الحضور !

جلس معظمهم مسكون بكراسيهم وأقلامهم .. متأنفين لتدوين  
المذكرات !

فقد تعلقت أبصارهم بالحاضر ، وهو يقف فوق المنصة ساكناً  
رابط الجأش ، ينتظر حق يسلتب السكون بين الصفوف ..

وعجبت الفتاة إذ رأته رجلاً في مقتبل العمر ، أنيق المدام ،  
يضع ربطه عنق زاهية الألوان غير مألوفة في المحيط الجسامي ..  
لما عدت إلا تلك ( الأرواب ) الجامضة القاتمة التي يعلوها الغراب ،

والمعنى الموجة بالشيب ، والمعروقات السميكة ، وهي المظاهر التي  
يعرف بها أساند الجامعات ا  
وخففت تسأل من جديد :

- من المحاضر ؟

فأجاب طالب الطب نفسه :

- إنك تعرفيه .. فهو أستاذ جراحة المن .. ولكنه سوف يلقي  
الآن محاضرة في علم النفس الجنائي ، الذي نبغ فيه .. ولو كنت مكافلاً  
لأستمعت إليه ، فهو محاضر جليل القدر ..

فلم يطل بها التردد ، وما لبثت أن جذبت زميلتها ومضتها بهبطان  
الدرج حتى وجدتا مكاناً يسعهما ..  
وما من ريب في أن هذا المحاضر .. الجراح الدائم الصيت ، كان  
يمتحن بـ عددًا وفيه من المستمعين ..

فها هي القاعة تكتلـ بالطلبة ، من مختلف الكليات ، ومن جميع  
الأعمار ..

بل إنها ترى بينهم رجالاً وسيدات لا يمدون إلى الجسامـة بصلة ،  
ولما قدموا خصيصاً لسماع محاضرته ، وراحو جيـعاً يتطلعون إليه في  
في انتباه وبيقة ، ويتبعونه بنظراتهم وهو يتقدم نحو مقدمة المنصة في  
تهـل ، وقد وضع يديه في جيبي رداءه ، متفرساً بعيـلية السوداويـن العميقـتين  
في الحضور برهـة ..

ثم يبدأ حديثه في يسر واقتدار :

- إن تـسعة أعـشار الجـرائمـ التي يـرتكـبـ في آـيـةـ أمـةـ مـتـحـضـرةـ ،  
إنـا تـرـدـ إـلـىـ أـشـخـاصـ الـخـرـفـ هـقـوـلـمـ عنـ وـضـعـهـ الطـبـيـعـيـ السـلـيمـ ..  
إـمـاـ لـذـائـتمـ فـيـ بـيـنـةـ فـاسـدـةـ ، وـإـمـاـ عـلـىـ أـفـرـ اـخـتـلـالـ عـصـيـ شـدـيدـ ..  
فـقـلـيلـ هوـ عـدـ الجـرـائـمـ الـيـ يـرـتكـبـهاـ أـنـاـمـ وـلـدـواـ شـوـاـذـ ، وـأـقـلـ مـنـهـ

أولئك المجرمون الذين تبقى عقلياتهم سليمة كل السلامة بعد ذلك ..  
فتقاومت الفناء في مقدمها وقد راقت لها المعاشرة رغم أنها لا  
تفهم شيئاً من تلك المصطلحات الفنية ..

فند كان صرت الأستاذ المعاصر عيناً واضحة النبرات ، رائعاً التموج  
يستأثر بجماع القلوب ..  
وكان قد انطلق في حديثه ، واستغرق في بسط نظرية ، وهو  
ينظر إلى الحضور دون أن يرام :

- ولعلكم تذكرون أنـ «الباعث» ، الذي اعتزمنا دراسته اليوم  
هو «الانتقام» .. فالمجرم العادي ، أو بالأسرى «الصليم العقلية» ، إنما  
يقتلون غالباً بهذا النوع من الجرائم ..  
فإن الانتقام ، أو الأخذ بالثأر ، يقترب عادة تحت تأثير عاطفة  
حارة جياشة ..

ومن ثم ، فإن قوانين بعض الدول تفتقر هذه الجريمة فتعفيهما من  
العقاب ..

وحق لو ارتكبت في تدبير حكم ، وإصرار سابق ، فما مرتكبها لا  
يعدم من يعطف عليه وبأخذته بالرفق والرأفة ..  
فإن نظرتنا إلى الحياة والموت ليست إلا ولبيدة ما اصطلاح عليه  
العرف والاتفاق ، كسائر تفاصيلنا وعاداتنا ..

ولعل الرجل الذي يترك عاطفته وعقيدته تدفعان به إلى الجريمة ،  
لا يكون مذنبًا في شيء بأكثر من مخالفة هذا العرف ..

وسوف أحدهم الآن عن رجل من هذا النوع ، وهو رجل متزن  
العقل ، سليم الإدراك ، بل هو في الوقت ذاته عضو له قيمة في  
المجتمع ..

ولما كنت قد وجدت في مركز بسعي لي بدراسة الرجل والحادث

الذي وقع له أو وقع منه في أدق تفاصيله ، ثم متابعة كل حركة باليها  
وكل خطوة تهبس بنفسه ، فإني لا أرى سبباً يحول دون أن يستفيد  
العلم من هذه التجربة التي خبرتها بنفسي ..

وأعمل الأفضل أن نطلق عليه [إسم] مستعاراً ..  
بل سوف نطلق على شخصيات هذه القصة جميعاً أسماء مستعارة ..  
فليكن [إسمه] ..

ونهل المحاضر قليلاً وهو يلوح بيده كأنما يبحث عن اسم ملائم ،  
وما لبث أن ابتسم في وقار ، واستطرد :  
- ليكن اسمه جويس .. ما يكمل جويس ..

## الفصل الثاني

كان مایكل جويس متزوجاً، غير موفق في زواجه، ويعيش منفصلاً عن زوجته ..

وكان طيباً يشار إليه بالبنان في الأوساط الطيبة، يملك مستشفى خاصاً في هارلي ستريت، فتشمل أعماله في نجاح مطرد، وكلما ازدادت عليه وطأة العمل ازداد سعادته به وارتياحه إليه ..

فلم يخطر بباله البتة، وهو في عنوان شبابه، وأوج صحته، وفترة شهرته ومجده، أن ثمة ما ينقصه في الحياة ..

ولم يكن لفشل زواجه من أثر في نفسه، وفي المرات القلبية التي يلتقي فيها بزوجته، كان لقاومها لا يبعده لقاء أي صديقين لا يبالي أحدهما بشورون الآخر الخاصة ..

فيكتفيه أنه كان قادراً على الإنفاق عليها في سعة، بينما يعيش هو هبطة راضية ..

وفيما عدا الخدم الذين يحبونه حباً جماً، كان يقيم بفرده، وإنما في غير عزلة ..

فقد كانت له مكانته في المجتمع، يشترك بنجاح في الحفلات والماذب، ويقضى أمسياته في النادي مع لجنة من أصدقائه المفضلين ..

و كانت له سلقة الرجل المثقف في تذوق الأدب والفنون ، كما كان هارباً بارعاً في العزف على البيان ، يداعب أوراده في أوقات فراغه ، وكلما أراد أن يربع أعضائه المكبدودة ..

وفيها عدا ذلك كلّه لم يكن يتكلّف بشيء قدر كلفه بعمله ومهنته ، فقد كان يحبه إلى درجة التقديس ، حبّاً خالصاً هو سر نجاحه فيه ذلك النجاح المطرد ..

ولذا لم يدر بخلده قط ، أن حياته الرقيبة المنتظمة يمكن أن تتأثر يوماً من الأيام بأي مؤثر خارجي ..

وفي ذلك الصباح ، وقف مايكيل جويس في حجرة الاستشارة الخاصة به ، ينتظر أحد مرضاه ، وقد أمسك بالخطاب الذي تلقاه لشأنه ، وراح بعيد قراءة التقرير المرافق له ..

وما لبثت سكرتيرته - من مارش - أن فتحت الباب ودخلت الحجرة ، لتقدم إحدى السيدات ومعها فتاة صغيرة .. وقدر في نفسه أنها لا تتجاوز الائني عشر عاماً ، فقدنست السيدة قائلة في صوت خافت :

- ممز رايت ..

فاصفعها الطبيب قائلاً في بشاشة :

- كيف حالك يا ممز رايت ؟

ثم التفت إلى الفتاة ذات الساقين التجميدتين ، التي كانت تنظر إليه بعينين زرقاويتين جميلتين ، في نظرات جامدة لا حياة فيها ..

- أهذه ابنتك ؟

- نعم .. هذه هي آن .. وقد كتبت لك عنها ..

فابتسم للفتاة مشجعاً وطلب إليها أن تجلس ..

ثم أجاب أمها :

- نعم .. لقد قرأت التقارير التي أرسلتها لي ..  
وأقرب من الفتاة وراح يفرق خصلات شعرها الكثنائي الطويل  
الذي كان ينسدل على ظهرها !!

ومضى يفحص جرحها قدماً بأعلى الجبهة ..  
وما عتم أن سألهما :

- أحسب أنها كانت جراحة عاجلة إثر غارة جوية ؟

- نعم ..

- وتشرين الآن بضعف في البصر ؟

فقالت أمها :

- لقد ذكر أخصائي العيون أنها حالة ليست من اختصاصه ، ولا  
يستطيع معها شيئاً .

فترك شعر الفتاة ينساب من بين أصابعه ..

وسألهما :

- هل يمكنك أن تقرئي ؟

- كلا .. فلست أرى الكتابة جيداً ..

فنظر إليها وهي إمعان ، قبل أن يغمض ..

كأنما يحدث نفسه :

- إن أمامي تقرير أخصائي العيون ، الذي يقول فيه أنها حالة  
افتلال مطرد لحاسة البصر دون سبب ظاهر ، .

ثم تحول نحو الأم الشاحبة الوجه المقطبة الأسارية ..

واردف ،

- إنها حالة خطيرة يا ممز رايت .. ولا أرى إلا أن نأخذها إلى  
المستشفى ، فنجري عليها فحصاً دقيقاً لتبين السبب الحقيقي لهذه الحالة ..

هل يسوق ذلك يا آن ؟

فشعب وجه الفتاة قليلاً ..  
ولكنها أحببت في شجاعة :  
- لا البتة !  
وقالت ممز رايت :  
- هل ورید أن نبدأ من الان ؟  
- اظن ذلك ضرورياً .. فلسنا نود ان يزداد ضعف نظرها حتى لا  
ينفع فيه علاج ..

ثم اخرج بمحراً لفحص البصر وراح يفحص عيني الفتاة وهو يتحدث  
بها في رفق ودعة ..  
حتى إذا ما فرغ من فحصه ، واقتنع بالرأي الذي كونه لنفسه ،  
الافق مع ممز رايت على ان تدخل المستشفى لتو .

ثم ابتسם لها مطمئناً وهي تبارح الحيرة .. بعد ان رأى في  
عيالها لحة من التوسل والضراعة لم تخالج نبرات صوتها مرة واحدة خلال  
حديثها معه ..

واجرت على آن اختبارات عديدة كانت تخضم لها في طاعة  
واستسلام ، حتى اارت إعجاب مايكيل جويس ، إذ رأى فيها طفة حسن  
خلقها واجيدت تنشئتها .

غير مدللة او ميالة للزفرة ..

وكانت امها تجلس يوماً بعد يوم في هدوء ورباطة جأش فنتظر  
نتيجة هذه الأبحاث دون ان تدع الهمة التي تجيش في نفسها ان تبدو  
في كلمة او إيماءة واحدة ..

فلم يكن مايكيل جويس في ذاك الحين يشعر بأثر في نفسه تجاه ( إيمان  
رايت ) أكثر من أنها سيدة وافرة الذكاء باذية الحسن ، وام كأحسن ما  
تكون الأمهات ..

وأظهر نعس الأئمة وجرد جسم غريب دقيق الحجم مستمراً  
فوق عصب البصر ..

فاطلع مايكل جويس ممز رايت على الصورة ، ثم بين لها ضرورة  
لإجراء جراحة معينة بالمنع لرفع ذلك الجسم الغريب وإزالة الضغط عن  
العصب حتى يمكن إنقاذ بصر الفتاة ..  
فريست قليلاً ..

ثم سأله :

- أهي شديدة الخطورة ، تلك الجراحة ؟  
- هناك دائماً بعض الخطر في الجراحات الكبرى ...  
- وما مدى هذا الخطر يا دكتور ؟  
- إن نسبة الوفاة في مثل هذه الجراحة بالذات تبلغ واحد  
في المائة ..

فتلفت حولها في حيرة .. وبدا عليها الألم والأسى ..  
وخفمت :

- وإذا لم تجبر لها هذه الجراحة ؟

وادرك الطبيب أن الصراحة أولى وأجدى مع امرأة من هذا الطراز ،  
ليس في حاجة إلى العبارات التقلدية الجوفاء التي تقال لبث الطمأنينة  
في النفوس ، فهي رابطة الجأش قوية للأعصاب ..  
فأجاب في أسف :

- سوف تفقد البصر حتى ..

فراحت تعصر يديها في أسى ، وما لبثت أن هفمت في نبرات تبعث  
على الرقة :

- رباه ! ليني أعرف ماذا ينبغي عمله ! لو أن فيليب خاد من  
رحلته . لكن أقدر مني على تقرير ما يجب صنعه الآن ..

- إن كل أسبوع غير يزيد الحالة سوءاً ..

- أعلم ذلك ، ولا ريب أنك على حق .. ولكن هل تظن أنها ..

وتملت قليلاً كأنها لا يريد أن تشي كلماتها بالخوف الذي انتابها ..

ثم أردفت :

- أعني أنها لن تكون ضمن الواحد في المائة !

فأراد أن ينفث فيها من ثلقته بنفسه ..

وأجاب :

- إن الأمر لا يستحق التردد يا ممز رايت ، فنتائج العملية  
تتجه ابنته من خطرها .. ويمكنك أن تثقني بي ..

فقطلت إليه بعيتها الصافية الزرقة ، تحارل أن تستشف من نظراته  
مدى فونه وقدرته .. وكأنها ارتاحت إلى النتيجة . فارتسمت على شفتيها  
ابتسامة شاحبة وقالت :

- حسناً .. سوف أفعل ما توصي به ..

وعندئذ قال في إيجاز :

- الأفضل إذن أن ترك آن في المستشفى حيث هي الآن ، في  
راحلة كاملة ، وسوف أجرب لها الجراحة عندما يحين الوقت الملائم ..  
وفيما كان يفتح لها الباب مودعاً أمسك بيدها لحظة .. وهو  
يغمض :

- لك أن تطمئني تماماً يا ممز رايت ..

فأجابته إيمان :

- إاتني مطمئنة ..

وكان بعد ذلك يرى آن في المستشفى كل يوم ، ويروي معها إيماناً  
رايته دوماً ..

وعلم أن زوجها من المشتبهين بعلم طبقات الأرض ، ويمارس عمله في

الخارج معظم الوقت ..

وكان إيمانها خلال غيابه وركز عواطفها جميعاً في ابنتها الوحيدة التي  
تجلبها إلى درجة العبادة ..

وظالما رأى مايسكل جويس في عينيها الصافيتين الطاهرتين ولائل  
ذلك الحب المتجرد من الأفة الذي تضفيه على ابنتها الصفيرة ..

ودنما اليوم المحدد لاجراء العملية الجراحية ..

فوقف مايسكل جويس وإيماناً ينظران إلى الجسم النحيل الرائق بين أغطية  
الفراش الناصعة البياض ..

وما لبث أن أخبر الفتاة في كثيد من الرفق انهم سيضطرون إلى  
قص شعرها الطويل ..

فهتفت في لوعة :

- آه ! أرجوك يا دكتور .. سوف يكون منظري بشعاً ..

فقالت إيماناً مبتسمة لها :

- كلا يا آن .. سوف ينمو سريعاً فتسوّج خصلاته ويزداد حسناً  
وجمالاً ..

وعلى الرغم من عزم الفتاة واصرارها على أن تبدو شجاعة غير  
هيبة ، فقد فر لونها ، فتبعدت في عينيها مسحة من التوجس والخوف ..

فقال مايسكل في دعوه :

- ليس ثمة ما يدعو إلى الخوف والرهبة يا آن ، فسوف نعطيك شيئاً  
لطيفاً يحملك تستغرقين في يوم عميق ، حق إذا ما استيقظت كان كل  
شيء قد انتهى .. بل إنك لن تشعري حتى بصداع خفيف ، وبعد ذلك  
تستعيدين بصرك وترى كل شيء في وضوح ..

ثم تحول يالي التعلقات إلى المرضة التي ترافقه ، وهو يهم بالخروج ،  
على حين ربتت إيماناً على يد طفلتها في حرارة ، واثنت تقبعه ، ولكن

آن تشتت بيدها في ذعر طاغ ..  
 فراحت تهدى وروها قائلة :  
 - سوف يعنى بذلك مسأله جويس عنایة باللغة ..  
 الا أن الفتاة غمضت في ضراعة مؤرة .  
 - لا تركيفي يا أماه !  
 فاستدار مايكيل نحوها قائلًا :  
 - ما رأيتك في أن تبقى والدتك معك حتى تستغرق في النوم ؟  
 - وهل يمكنها أن تظل معك حتى أفيق ؟  
 - في وسعها أن تلبث معك طول الوقت اذا شاءت ..  
 فنهض صوت الفتاة جذلاً اذ قالت :  
 - نعم يا أماه .. أرجوك !  
 بيد أن إيمان ترددت قليلاً ، وقد لاحت لميبيها فجأة صورة مرعبة لا ينتتها  
 فوق منضدة العمليات ..  
 ثم غمضت :  
 - سوف أنتظر في البهو يا عزيزتي ..  
 - كلا .. كلا .. بل ستبقين معي .. فقد قال مسأله جويس ان ذلك في  
 استطاعتك !  
 - حسناً يا عزيزتي .. سأظل همك كما تشائين ..  
 فخرج مايكيل وركبها وحدها بعد ان قال :  
 - سوف اراك بعد قليل يا آن ..  
 وملقت به إيمان في الردهة لتسأله ان كان وجودها في حجرة العمليات  
 سبباً لها ..  
 فتناوله شعور بالشفقة عليها ، اذ رأى امتناع وجهها ، ودلائل الذعر  
 والقلق المولتبة عليه ..

ولكنه قال في اقتضاب :

ـ اذك لن تأتي الى حجرة العمليات ، فقد قلت ذلك لأبعث السرور  
والقوة في نفسها فقط ..

فقطلعت اليه ايا في دهشة ونفور ، وقالت :

ـ هل تعني انني لا استطيع الدخول :

ـ كلا البنت .. فهذا الحال ا

ـ ولكنني وعدتها

ـ انها لن تعلم شيئاً عن هذا متى غابت عن الصواب بتأثير المدر .

ـ ليس هذا هو المهم ، افالهم انني وعدتها بلازمتها ، واذا تبيلت فيها  
بعد انني لم اهددها بذلك الا على سبيل التشجيع واني كنت اخادعها ، فلن  
تصدقني بعد ذلك في شيء ..

ـ الا انها لن تتبين ذلك البنت ، فلماذا تزعجين نفسك بهذه الخواطر ؟  
ثم قادها الى قاعة الانتظار ، حيث اجلسها في مقعد وثير .. ومضى  
لشأنه ..

وفي الضوء الباهر والحرارة القاسية ، كانت آن ترقد امامه على منضدة  
العمليات ، لا تلك الطفلة القلقة المتوجسة ، وانما جسم صغير ساج لا يبدو من  
الأغطية البيضاء التي تحيط به سوى أعلى الجبهة ..

وكان يقف حوله مساعدته وطبيب التخدير والمرضات على استعداد  
لإطاعة أقل حركة تبدر منه ، وقد ارتدوا جميعاً ثياباً من أعلى الرأس الى  
أقصى القدم .. ووضعوا فوق رؤوسهم قناعات كثيفة لا تبدو منها سوى  
عيونهم وهي تتبع يدي البراح في اهتمام بالغ ..

ولم يكن يسمع في الحجرة غير أنفاس الفتاة المترددة في انتظام ، وغير  
حفيظ ثياب المريضة وهي تناول الطبيب أداة بعد أخرى ، فيديراها بين  
أنامله في حركات ثابتة ، يقودها العلم والمقدرة من وراء عينيه الحادتين المركزن

فیا امامہ

فلا ثبتت الفيادات الأخيرة حول الرأس بشائك خاصة ، ورفعت  
الأغطية عن وجه الفتاة ، فبدها خلاؤ من قناع التخدير ، خطسا الطبيب  
خطوة إلى الوراء ليذاناً بانتهاء المبرأة ، وقد شعر فجأة بالتعب يتنفس  
كتفيه ..

ولكنه كان يعلم أنه قد ينجح، وأنه قام بمحاربة فدمة، لا مضاعفات أو تعقيدات فيها ..  
فقد بذلك غاية جهده، وكل عمله بالنجاح، ونجحت آن من الخطط.

### الفصل الثالث

ما أن خلع مابكل جويس أزار الجراح وقلنسوته وقناعه ولبس  
ثوبه العادي ، حتى أسرع إلى الحجرة التي كانت إليها رأيت تنتظره  
فيها .. فلم يتتبه عند دخوله إلى وجود سيدة أخرى مضطجعة في  
مقدم كبير يحوار المدفأة ، إذ التبكي أنظاره مباشرة إلى إيمان وهي تجلس  
على حافة المقعد في تحفز ولهفة ..

فما كادت تراه حتى وثبتت على قدميهما في عصبية شديدة ، ووقفت  
 أمامه جامدة شاحبة الوجه كالأموات ..

فغمغم :

ـ حسنا .. لقد انتهى كل شيء يا ممز رأيت أ

فهتفت في صوت حاد متهدج :

ـ انتهى كل شيء ؟ ماذا تعني بذلك ؟

ـ لقد قمت العملية على غير وجه ..

فظلت تحدق النظر في وجهه كأنما لا تفهم ما يقوله .  
ولكتها ما أن استوعبت كلامه حتى انتابتها رعدة شديدة وارتجفت  
شفتيها ..

ثم انهمرت دموعها .

فتقدم مایكل نحوها ، وراح يربت على كتفها مهدئاً وهو يغمغم في رقة :

ـ إن كل شيء على ما يرام الآن !

فأخذت تجاهد في سبيل استعادة هدوئها ..  
ويماليت أن قالت :

ـ آه ! إني آسفة ، ولكنهما دموع الفرح .. فقد غبت مدة طويلة ،  
وظنلت .. ظنلت !

واحتبس صوتها ثانية ، ولكنها سرعان ما كفكت دموعها وابتسمت وهي تردد ..

كأنما تعذر عن مسلكيها :

ـ ما أشقي المرء إذا كان شديد الكلف بشخص ما ؟  
وعندئذ أبعت المرأة الجالسة بحوار المدفأة قائلة في صوت  
حاد :

ـ يجب أن تتجaldi يا عزيزي .. فقد قال الدكتور أنها على  
ما يرام !

ـ نعم .. أعرف ذلك !

ثم تحولت اليه لتسأله في هذه :

ـ هل أستطيع أن أراها الآن ؟

ـ سوف تتحقق من أمر المخدر بعد قليل ، إلا إني أود أن تدعها في راحة  
ثانية !

ـ وإنني لن أزعجها يا دكتور .. ولكني سوف أكون أحسن حالاً  
إذا رأيتها !

وعندئذ وقفت المرأة الأخرى قائلة في صبر تأدب :

ـ لا تذكرني حلة يا إيه .. هيا بنا ، فما ينتهي أن نبقى طويلاً بعد أن

علنا أنها بغير ا  
فنظرت إليها إيمان .. في عجب ا

ثم أبتسمت وقالت معتذرة :

- آه ! هذه اخت زوجي ، ممزح هوارد .. وهذا دكتور جويس ا  
فتبادلاً تجربة التعارف في غير اكتئاث وبلمحة فاتورة شبه رسمية ، ومايكيل  
جويس لا يعبرها اهتماماً حق لكنه لا يحسن وجودها ..  
كان سعيداً إذ استطاع أن يهب إيمان رايت الطمأنينة والسعادة ، وكان  
شعوره هذا منبعاً من أحماق القلب ، كشبور صاحب المنسنة إذا صادف  
نجاحاً وتفيقاً في عمله ..

ولكنه لم يخله وقتنده أو يعرف كنه ا  
وأجريت في الأيام التالية اختبارات عديدة على الطفلة وهي راقدة في  
فراشها ، ووجهها أبيض ناصع كالضيادات التي تحيط برأسها ا  
وفي تلك الأيام كان اليأس يعاود إيمان وهي ترى ابنتها فيها بشبه الذهول  
 بما حولها ..

ولكن مايكيل كان لا يفتا يطمئنها وبقائها بأن الفتاة تتقدم نحو  
الشفاء ا

قتل ذلك فترة من الانتظار الطويل والمففة الإلخارقة ، كلما ينتظران  
حتى يتبيينا أمر الجراحة على بصر للطفلة ..  
وقد أنت لحظات تناوئها وفيها الحوف والجزع خشبة أن تكون  
آن قد فقدت البصر قاماً ..

لحظات كان فيه مايكيل جويس نفسه يكاد يشك في مقدرته وثقته  
بتلبيعة عمله !

ولكن نظرها بدأ يقوى تدريجياً ، وبدأت تحيي الأشياء التي حولها ، كما  
عاورتها ضعفاتها المرحة الرنانة ..

وَكَانَتْ تَجْلِسْ ذَاتَ مَسَاءَ فِي فِرَاشِهَا ، وَوَدَّتْهَا يُحَانِيهَا ، عَنْدَمَا رَاحَتْ  
تَفْرَأُ لَهُ فِي كِتَابِ الْقَصَصِ بِصَوْتٍ عَالٍ ..

ثُمَّ رَفَعَتْ عَيْنِيهِا عَنِ الْكِتَابِ ، فِي انتِصَارٍ وَسُرُورٍ ، وَطَلَبَتْ إِلَيْهِ  
أَنْ يُسْكِنَهُ بِهِ بَعْدَأً عَنْهُ ، عَنْدَ الطَّرْفِ الْآخِرِ مِنَ الْفِرَاشِ ، وَمَا لَبَثَتْ أَنْ  
قَالَتْ ضَاحِكَةً :

- أَرَأَيْتَ ؟ أَنْفِي أَسْتَطِيعُ الْقِرَاءَةَ حَتَّى وَهُوَ فِي هَذَا الْوَضْعِ .  
فَبِادِهَا الْفَسْعَلُكُ فِي مَرْحَ وَزْهُو ، وَالْقَى بِالْكِتَابِ عَلَى الْفِرَاشِ  
وَهُوَ يَقُولُ :

- أَرَأَيْتَ ؟ أَلَمْ أَقْلِ لَكَ ذَلِكَ ؟

وَلَقَدْ ظَلَّ مَا يَكُلُّ جَوِيسَ وَإِيمَا رَأَيْتَ يَلْتَقِيَانِ كُلَّ يَوْمٍ مَدْدَ طَوِيلَةً ،  
وَيَتَقَاسِيَانِ الْأَمْلَ وَالْيَأسَ ، وَالْقَلْقَ وَالْمُنْهَى نَحْوُ سَلَامَةَ آنَّ وَعْدَةَ بَصَرَهَا ،  
كَانَ يَجْمِعُهُمَا شَعْرُ وَاحِدٌ ، وَتَرَادُهُمَا خَوَاطِرُ وَاحِدَةٌ ، وَيَخْفَقُ قُلُوبَهُمَا  
بِوَجِيبِ مَائِلٍ .

وَهَا هَا الآنَ يَتَقَاسِيَانِ نَشْوَةَ النِّجَاجِ وَتَسْرِيَ فِي عَرْوَقَهَا هَزَةُ  
الْفَرْحَ وَالْهَنَاءِ ..

وَكَانَتْ إِيمَا جَدْ شَاكِرَةَ لَهُ إِذْ رَدَ إِلَيْهَا بَصَرَهَا ، عَلَى حِينَ وَجَدَ  
مَا يَكُلُّ فَنَسَهُ يَزْدَادُ اهْتَمَاماً بِهَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، خَصُوصًا عَنْدَمَا أَخْدَتْ آنَّ  
قَدْرَاجَ نَحْوَ الشَّفَاهِ ، إِذْ فَارَقَ إِيمَا جَوِيدَهَا وَتَحْفَظَهَا . وَبَدَأَتْ تَظَاهِرُ عَلَى  
طَبِيعَتِهَا الْمَرْحَةُ مَعَهُ ، فَيَتَبَيَّنُ سَحْرُهَا الْهَادِيُّ وَفَتَنَتْهَا الَّتِي لَا يَشُوِّهُ  
الْتَّسْكُلَ ، أَوْ تُشَيرُهَا رَغْبَةُ الْأَغْرَاءِ ..

وَحَلَّ أَخِيرًا ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ مَا يَكُلُّ يَنْوَقُهُ وَيَخْشَاهُ ..  
يَوْمَ زِيَارَتِهَا الْأَخِيرَةِ لَهُ ، قَبْلَ أَنْ تَمُودَ إِيمَا بِابْنَتِهِمَا إِلَى مَنْزَلِهِمَا  
بِالرِّيفِ ..

وَكَانَتْ آنَّ وَاقِفَةَ يَمْانِيهَا فِي الرَّدَهَةِ ، وَرَأَسَهَا يَدَانِي كَتْفَ أَمْهَا ،

عندما قالت لها :

ـ لقد ذهبت وآن إلى السينما في الليلة الماضية .. فكانت أول مرة منذ عام !

وأردفت الفتاة في جمل :

ـ لقد كانت بالألوان الطبيعية ..  
قتلت ذلك فتورة من الصمت ..

كأنما لا يجد أحد منهم ما يقوله ، حتى واجهته لها أخيراً مبتسمة ابتسامة مفترضة قائلة :

ـ حسناً .. لست أحسب إننا سنراك بعد ذلك يا دكتور ..

فقال في حرارة :

ـ بل أرجو أن تفعلوا

وما كاد يقولها حتى أحس بها في هذا الرجاء من حقيقة ، فقد كانت أمنية منبعثة من أعماق قلبه !

فأجابته لها في صدق واحلاص :

ـ واني لأرجو ذلك بالمثل ..

ثم فتح الباب الخارجي في بطيء ، فتنحى عنه حتى خرجتا ، وهو يشعر انه يفقد شيئاً ما ..

شيئاً ثميناً لا يدرك كنهه تماماً !

ونظرت آن إلى الطريق ..

ثم هتفت :

ـ انظري يا أماه ! لقد طلعت الشمس من جديد !

ـ سوف تذهب إلى المتنزه إذاً ، أيروق لمك ذلك ؟

ولكن آن كانت قد خرجمت وهضت تهراقص فوق الدرج ..

فتحوات لها نحوه ومدت اليه يدها ، وهي تشعر بشيء من الحزن

لفارق هذا الرجل الذي جلب لها كل هذه السعادة ، والذي كان جزءاً من حياتها طوال الشهور الماضية .

وغمضت :

- وداعاً يا دكتور ا

فأمسك بيدها ، ومضى يتأمل ذلك الوجه الرقيق الطاهر لحظة ..

ثم قال :

- أنت ذاهبة إلى الحديقة حقاً؟

فسألته في دهشة :

- نعم .. لماذا؟

- هل لي أن أرافقك؟

- طبعاً .. بلا ريب !

فخيّل إليه أن ذياراتها تشف عن الابتهاج والسرور . فتسائل معطفه من المشجّب يحوار الباب .

فراحـت تعاونـه في ارتـدائه وهي تقول :

- ألا تخـير أحدـاً بخـروجـك؟

- سـوف أخـبرـهم عـنـ عـودـتي !

وكان يشعرـ شعورـ الغـلامـ الذي يـنـفـرـ مـنـ مـدرـسـتهـ ، فـلـمـ يـفـعـلـ قـطـ مـنـ قـبـلـ شيئاً كـهـذاـ ، لـاـ يـمـتـ بـعـصـلـةـ إـلـىـ مـهـنـتـهـ

فـلـرـكـ عـمـلـهـ بـعـدـ الـظـهـرـ لـاـ أـشـيءـ ، سـوـىـ النـزـهـةـ فـيـ حـدـيـقـةـ عـسـامـةـ مـعـ بـذـتـ صـفـيـرـةـ .

وكان يومـاً صـافـيـاً مـنـ أيامـ الشـتـاءـ الـأـخـيـرـةـ ، وـقـدـ أـشـرـبـ الـلـهـوـ بـدـفـاءـ يـسـيرـ ،

وـسـرـتـ فـيـ الـلـسـمـ رـوـحـةـ مـنـ روـحـاتـ الـرـبـيعـ ..

وـكـانـاـ رـأـتـ الـفـكـرـةـ ذـاتـهاـ سـائـرـ النـاسـ ، فـأـمـلـأـتـ يـهـمـاتـ (ـ هـسـاـيدـ بـارـكـ ) .. إـنـهـاـ وـاـيمـ الـحـقـ فـكـرـةـ سـدـيـدةـ ، فـيـهاـ يـرـىـ مـاـيـكـلـ ..

و كانت آن تندو فوق العشب ؟ و تدور حول القوارب التي تلاً البعيرة ،  
على حين كان مايكيل يسير مع امهما ، يتهدى و يضحك كأنما ليس في العالم  
سواء وسواها ..

و كانت تتحدى عن عمله ، وعن نفسها ، في مرح طبيبي ، وفي غير  
تكلف او تحفظ .

ومع ذلك ، فلم يكن في نبراتها ، اي اثر للخلاعة او الاغراء ..  
و كان مايكيل يتأملها وهي تخطر في خفة ، بمعطفها الاسود البسيط ،  
وشعرها الكستنائي المفاس الذي يبعث به النسم ، وبشرتها المتوردة  
الوضاءة ، وفها الجميل الذي يكاد يتبعثر من الطلاء وقد راح يتسم له ،  
ولأن ..

وللدنيا بأمرها ..  
و كان في تلك المرأة شيء اخر في مايكيل جويس كل التأثير ، و سحره  
اروع السحر ا

صنة قلما صادفها من قبل ، و كانف اليوم في ذروة جلامسا ، فقد علت  
للتتو أن زوجها سيهود من الخارج ، ولم تكن تراه في الأونة الأخيرة سوى  
شهرين من كل عام .. أما الان ، فقد تخلى عن عمله في الخارج ليبقى  
معهمَا دوما .. وكان ذلك ما اثار سرورها و اشاع المرح والنشوة في  
اعطاها ..

و كان ينبغي ان يودع احدهما الآخر عندئذ ، و يفترقا الى غير لقاء ؛ بعد  
ان بلغت صلتها نهايتها الطبيعية ..

صلحة الطبيب بأهل المريض الذي تم شفاوه ا  
ولكنهما لم يفعلا ..

فعندما قدمت الى لندن ذاتية ، التقى مرة اخرى ، فتعدد اقسامها ،  
و تفاريت فتراته ، واستطاعت جلساته ، وتبيننا ان لها ميرلا واحدة ، اذ

كانت تشاهد شفهه بالموسيقى والفنون ..  
ودعها مرة الى الذهاب الى قاعة الموسيقى في صحبته .  
فاستجابت لدعوه ..

وكان يحسن بها بمحانبه ، وقد استحوذت الموسيقى على لبها !  
وظل يرقب تلك الظاهرة الفريدة التي تلازمها ، اذ يتتحول لون عينيها  
من زرقة صافية الى زرقة فاتحة ، كلما تأثرت او أثيرت ..  
وعندما اخذنا بتناول العشاء ، ظل يستمع في غبطة وجدل الى آرائها  
الناضجة ، سواء اكان الحديث عن الكتب ، او المسرح ، او الموسيقى ..  
ورأى حساسيتها السريعة ، وسجاها الغريزي ، واستجابتها لكل ما هو  
جميل رقيق !

وكان يعلم انها « سيدة » بكل ما في هذه الكلمة التقليدية من معان ،  
رقابة حانية ، لا تعرف المخوف او الرهبة ، تجردت نفسها مما يشن ،  
وعندئذ بدأ ما يكل جويس يدرك مبلغ ما فساد وخسره في اهوار العزوية  
والعمل المضني الماضية ..

فلما انتهت الحفلة صعبها في سيارته الى منزلها بالريف ، وهو يبعد عن  
المدينة زهاء ثلاثة ميل او اربعين ، وكان الطريق المفتر يمتد وسط حجب  
من الظلمة الحالكة ..  
فقالت معتذرة :

- انتي احس بذنبي اذ كبدتك كل هذه المشقة وركبتك تمضي بي هذه  
المراحلة الكبيرة ، وكان يحدري ان امضي الايام في المدينة لولا انتي اكره  
ان اترك آن وحدها .

- ينبغي ان تقضي امسية اخرى معاً !  
فاستجابت في بساطة وطهارة :  
- كم يسرني ذلك ..

فتفرس فيها حوله برهة ..

ثم قال :

- لا ريب اننا على مقرية من المنزل ، فهلا ارشدتنى ؟

فانحنى فوق النافذة لتأتى ملائكة ما حولها ، وكان القمر مقنعاً بخمار من  
السحب ، والظلام من الكثافة بحيث تكاد تلمسه بيدها ..

وأخيراً قالت :

- احسبنى اعرف اين نحن الان .. انتظر لحظة ، حتى ارى ذلك  
السياج ..

فأبطأ من سرعة السيارة ، على حين ظلت إيمان تفترس في الظلام  
حتى قالت :

- آه .. نعم .. هذا هو المعبد ..

- أي معبد ؟

- إنني أراه دائماً من نافذة خديعي ..

ثم تصاحكة وأردفت :

- وكم من منازعات عائلية ثارت بسببه ..

- ولماذا ؟

- أمض بالسيارة قليلاً حتى أريك آياه .. فلن يستغرق ذلك مني  
زمنا طويلاً !

وأوقف السيارة على مائة يارد ، حيث برجلاً .

فإذا على جانب الطريق إلى الداخل معبد صغير من الحجر ، ينبع  
وحده بين الحقول ، وضوء القمر يضفي بياناً ساطعاً على جدرانه  
القاسية ..

فظلاً ينظران إلى داخله برهة خلال نافذة ضيقة من الزجاج المутم ..  
وأخيراً استدارت إيمان ووقفت مستندة بظهرها إلى الباب الثقيل

المصنوع من خشب البلوط والذي تعلوه قبة مدببة على الطراز القوطي ،  
على حين راحت تلمس أحججاته بيدتها فيها يشبهه الحنان .

وهي تقول :

- عندما تهب الرياح الى ثاحبتنا ، فلأننا نسمعها كأنها تنفي .. وكم  
أحب ذلك . فإن الصوت يدخل المعبد ويخرج من النافحة الأخرى  
كأنفاس الأرغن !

وارتعشت قليلا ..

ثم ذابت القول :

- إنني لا أعلم الحقيقة ، ولكن هذه الأصوات تشبع في النفس  
شعوراً بالروعة والراحة .. غير أن بعض الناس يقتونها .. وكانت  
كات قبل أن تزوج لا تفتتح دأباً أن تقنع فيليب - زوجي -  
ببيع المنزل .. فلما قتل زوجها ، وعادت للاقامة هنا ثانية بدأت تمارد  
الكرة وتثير المنازعات من جديد ، وهي تقول دائماً أن ( كلاي ) يعزف  
على الأرغن في أنفاس كأنين الأبالسة !

وكان وهو يرقبها في ثوبها الطويل المحتشم ، ويرقب حركات يدها  
الرقين البيضاوين ، لا يكاد يفقه شيئاً مما تقوله ..  
كان لا يشعر بشيء سوى السعادة التي تفمره في نظرها ، وفي  
رنين صوتها ..

ولكنه قال :

- من هو كلاي ؟

فأجابـتـ إـيـاـ :

- إنه البستاني فهو يعزف على الأرغن ، وتودـ كـاتـ أنـ فـطـرـ دـهـ  
لـهـ السـبـبـ !

فـسـأـلـهـ ماـيـكـلـ :

- إذا؟ هل يُؤثر عزفه على عمله في الحديقة؟

وضحكاً مما، وهي تجيب:

- كلا.. ولكن كانت تعتقد أنه إذا ترك العمل اضطر إلى الرحيل إلى جهة أخرى وبذلك لا يكون هناك من يعزف على الأرغن، وبذلك تكفل الأصوات الرهيبة التي تنبض من المعبد.

فت قال الطبيب:

- ومن هي كانت..

فقالت لها:

- إنها مُشَيْقَة زوجي، وقد قابلتها في المستشفى ذات يوم ..

- حقاً؟

وذكر في غموض تلك المرأة التي كانت مع لها في قاعة الانتظار عندما أقبل ليخبرها بنتائج العملية ..

على حين استقرت عيناهما في التفكير ..

ثم قالت في بطء:

- إنك لا تذكر حتى الناس الذين تقابلهم،ليس ذلك مما يدعو إلى التفكير؟

فتصعد لنظراتها الصارمة، وقال:

- إنني أذكر من كانت لهم أهمية خاصة .. أو لئنك الذين أحب أن أذكرهم ..

وراحت تبتعد عن المعبد، وتهبط الدرج، ثم تسير نحو الطريق، وهو يتبعها ..

فلما وقعا بمحوار السيارة، أشارت إلى بقعة قاتمة على بعد يسير منها

وقالت في غير اكتراث:

- هذا هو منزلنا ..

- أهو حفنا؟

وطللت صامتة ، دون ان يهم أحدهما بدخول السيارة ، وبغتة تنفست في صوت مسموع ا

ثم قالت في حياء :

- هناك شيء اردت ان أسألك عنه طول المساء ..

- وما هو؟

فترددت قليلا قبل ان تجيب :

- انه .. حسناً .. هل أنت مطلق؟

فرد مايكل :

- كلا .. فإن عيالا لا تزيد الطلاق ، لماذا تسألين هذا السؤال؟

فأجبت ايما :

- لقد كنت أتساءل عن حقيقة موقفك ، وهذا كل ما في الأمر !  
وكأنما خانها صوتها فكفت عن متابعة الحديث ، وما لبثت ان ابعدت الموضوع في ابتسامة سريعة ، قائلة :

- لا ريب أن الوقت متاخر تماماً ، وينبغي ان نعود ادراجنا  
وودعها مايكل جويس عند المرآء المودي الى المنزل ، دون ان يفكك في  
مرافقها الى الباب ..

وقد افترقا في غير احتفاء ، فرافقا جامداً فارماً ، بعد ان أزجت اليه  
ايما الشكر على الأمسية التي قضتها معه ..

\* \* \*

واتصل بها في اليوم التالي ليسألهما ان كان يستطيع لقاءها قريباً ..

وذكر لها ان في وسعه تنظم مواعيده حتى تلائها ، فليس عليها الا ان تخبره بالرعد الذي ستكون فيه في المدينة فيدور الأمر بحيث يكون خلواً من العمل ..

واختبأت ايها بان ذلك قد يتعارض مع عمله ومصالحه ، ولكن ما يكفي جربس كان يحس بان العمل لم يبعده المقام الاول في نفسه كما كان من قبل ، وانا لا يهمه الان ولا يشغل عليه خاطره الا ان يستطيع لقاء ايها باستمرار .

والفن نفسه يفكرا فيها كل ساعة وكل لحظة من اليوم ..

فهو يصور لنفسه ضعفتها المرجة السريعة ، عندما يتقص عليها حادداً طريقاً صادفه في عمله بالمستشفى ا

وكان إذا ألقاه أمر أحد مرضاه ، راح يبئها قلقه .. كان يطعنها على مطامعه ، وآماله ، ولا يكتفى هنها هواجسه ومتاعبه ا

كان عهده دائماً متحفظاً ، منطويأ على نفسه ، لم يخرج عن طبيعته هذه انسان آخر قط من قبل ..

لكنه انقلب معها فوراً لا يكتفى سراً ..

وكان كلها أضناه قضاء ساعات برفقها مع مريضاته المقاولات ، وللوجم ، شطرها فوجد الراحة معها ، كأنما يستمد القوة من حيويتها ، كان كل يوم يزورها يزيد رابطهما تونقاً .

وكانت كل خلة يكتشفها فيها تضفي قوة على الندائم والانسجام المتبادلين بينهما .

وكانت ايها ، مع غياب زوجها أكبر جزء من العام ، تكاد تعيش في عزلة عنزها الريفي مع آن ..

فكان من الطبيعي أن تسر لصحبة هذا الرجل الذي المثقف ، الذي تشاطره الميل والنوازع ..

ولقد اعترفت في قراره نفسها أن من يواعث الغبطة أن تذهب في  
رفقة رجل مثله إلى المسارح والمرافق !

وكانت تجد البهجة في حديثه البارع ، وسعة اطلاعه ولباقته ..  
كانت تعرف ذلك كله ..  
وتعترف به أ.

ولكن الذي لم تتبينه في بادئ الأمر ، هو إن انعطاف قلبها نحوه إنما  
يوجع إلى جاذبيته الشخصية ، تلك الجاذبية التي لا علاقة لها ببنافتة وسعة  
اطلاعه ..

وكان كلامها يدرك في أعماق نفسه حقيقة ما يحدث لها .  
كان كلامها ملزوجا ..

وكان كلامها يعلم حق العلم ما سرّودي إليه صداقتها الوليفة البريئة حتماً ،  
ومع ذلك فقد ترك الأمور تجري في مجراتها ..  
ومع مرور الزمن الخدت إليها عادة الحضور إلى منزلها كلما أقبلت إلى  
المدينة لتقبض ..

وكانت يلتقيان لقاء عاديا ..  
ولكن كلامها كان يشعر شعوراً قوياً بعنانة الآخر في نفسه ، كلما  
سعیدين كل السعادة كلما اجتمعوا كرفقاء مخلصين ، وكانت يحاولان اقناع  
ذاتهما بأن ذلك كل شيء !

\* \* \*

وعندئذ حان ذلك اليوم الذي لم يعد في وسعها التصنّع والكتاب  
طويلا ..

فقد ترك ما يكمل جويس حجرة الاستشارة منهوك القوى ، ومضى إلى

حجرة الاستقبال ..

فما كاد يبلغ إليها حتى وقف مكانه ، إذ كانت إيمان هناك ، جمالة  
يمهار الحاكي .

كانت عارية الرأس بلا قبعة ، ترتدى ثوباً بسيطاً أزرق اللون ، وهي  
تصفى في غبطة إلى الأذفام النبعة من الحاكي ..

فظل يردها ، ويصفى بدوره ..

لم تكن موسيقى « باخ » التي يحبانها أكثر من غيرها ، وإنما كانت أنفاماً  
رقينة تشف نبراتها عن طفولة ، فتردد قليلاً وهو في عجب من أمر هذه  
الاسطوانة ، عندما سمع الأذفام تخفت فجأة ، ثم صوت آن ينبعث منها  
واضحاً بهذه العبارة :

« يا لمعنة سوف أبدأ من جديد » ..

فولج المجرة وهو يقول :

- شد ما يومني ان وركتك تنتظرين ، فقد كنت متقدلاً بالمواعيد .

فأمرت توقف الحاكي ، وقد تألفت عيناهما بالسرور للقباء ،  
وهي تقول :

- لا شيء في ذلك البنة ، فقد أعددت لك مفاجأة ظريفة ..

فقال مابكل :

- وما هي ؟

وكانـت منهـكة في استبدال الإبرة ، وهي تجيب :

- إنـها اسـطوانـة من غـنـاء آـن .. وـهـيـ من الـأـنـفـانـ بـحـبـتـ تـحـسـبـهاـ  
ـعـازـفـ عـارـفـ .. وـقـدـ مـلـأـتـهاـ بـأـغـنـيـةـ :ـ سـيـديـ هـلـ لـكـ أـنـ  
ـتـسـيـدـيـ ؟

أصـفـىـ إـلـىـ موـسـيـقـىـ الـافـتـنـاحـ ..

ـ ثـمـ قـالـ فـيـ اـغـيـاجـ :

- حسن جداً ، هل هي آن حقيقة ؟

فأجابـت إيمـا :

- طبعـا هي أـا

- إنه عمل المـحترـفين ..

فأشارـت إيمـا لـ بصـوت قـائلـة :

- صـه .. يـنـبـغـي أن تـصـفـي أـا

وـكـانـت تـختـالـ زـهـواً ، وـعـيـنـاهـا تـلـمـعـانـ فيـ غـبـطـةـ ، وـقـدـ وـكـزـ اـنـتـبـاهـهاـ  
فيـ الأـغـنـيةـ ..

وـتـلـتـ ذـلـكـ فـتـرـةـ صـوتـ المـوـسـيقـىـ ..

ثـمـ صـوتـ آـنـ فيـ خـفـوتـ :

- ياـ لـلـعـنـةـ أـصـوـفـ أـبـدـاـ منـ جـدـيدـ ..

وـبـدـأـتـ المـوـسـيقـىـ مـرـةـ أـخـرىـ ، بـيـنـاـ كـانـ مـاـيـكـلـ يـتـهـ بـصـوتـ عـالـ ،  
وـإـيـاـ تـنـظـرـ حـوـالـهـ فـيـ قـلـقـ وـخـزـىـ ..  
ثـمـ قـالـتـ كـانـاـ تـمـتـذـرـ عنـ طـفـلـهـاـ :

- هـذـاـ هـوـ الـخـطاـ ، فـقـدـ كـانـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـسـمـرـ ، وـلـكـنـنـاـ سـنـلـاـ اـسـطـواـنـةـ  
أـخـرىـ بـالـأـغـنـيةـ كـلـهـاـ ..

وـفـيـ تـلـكـ اللـحـظـةـ اـنـتـهـتـ المـوـسـيقـىـ فـيـ أـنـشـامـ بـطـيـئـةـ مـنـعـذـرـةـ ، اـخـبـهـاـ صـوتـ  
آنـ وـهـيـ تـقـولـ :

- اـنـيـ شـدـيـدةـ الـأـسـفـ ..

وـتـجـاهـلتـ إـيـاـ ضـحـكـاتـ مـاـيـكـلـ ..

ثـمـ مـضـتـ إـلـىـ الـمـعـزـفـ وـهـيـ غـرـفـ :

- إـنـهـاـ تـجـيـدـ عـزـفـهـاـ حـقـاـ ، وـلـكـنـ الـخـطاـ حـدـثـ هـنـاـ !

وـرـاحـتـ تـجـرـيـ أـصـابـعـهـاـ عـلـىـ الـمـعـزـفـ فـيـ مـهـارـةـ رـائـعةـ ..

فـتـنـاـولـ الـاسـطـواـنـةـ ، وـوقفـ يـرـهـبـهـاـ مـنـ بـعـدـ .. وـكـانـ يـعـرـفـ الـأـغـنـيةـ

بلا شك ..

ـ سيدتي ، هل لك أن تسيري ؟

ـ سيدتي هل لك أن تتحدى ؟

ـ سيدتي هل لك أن تسيري معي وتحدى إلى ؟

ـ سوف أهبك مفاتيح قلبي . حتى لا نفارق نحن الآنان قط ..

ـ سيدتي ، هل لك ..

وكانـت ماضـية في العـزف في مـرح وبرـاعة ، وهـي تـتحـدـث هـنـ آـنـ :

ـ إنـها تحـفـظ بالـسـمـاع .. فـبـعـدـ الحـادـثـ الـذـيـ أـصـاـيـهـاـ جـعـلـتـهاـ تـغـضـيـ فيـ درـسـهاـ ، حتىـ لاـ تـلـسـيـ المـوـسـيـقـىـ أـيـضاـ .. فـلـاـ رـيـبـ إـنـكـ تـعـلـمـ كـمـ يـسـرـ المـرـءـ عـنـدـمـاـ ..

وعـنـدـنـدـ أـذـاماـ صـوـتـهـ ، يـحـلـجـلـ بـيـنـ أـنـفـامـ المـوـسـيـقـىـ :

ـ إـيـاـ .. هلـ تـحـبـينـ زـوـجـكـ ؟

فـكـفـتـ عنـ العـزـفـ دـفـعـةـ وـاحـدـةـ ، وـاخـدـتـ تـنـطـلـعـ إـلـيـهـ خـلـالـ الـحـبـرـةـ وـقدـ  
شـبـ وـجـهـهاـ وـغـدـتـ كـشـبـ منـ الأـشـبـاحـ ..  
فـأـعـادـ سـؤـالـهـ فيـ نـدـرـاتـ آـمـرـةـ خـشـنةـ :  
ـ حـسـنـاـ ، هلـ تـحـبـينـهـ ؟

فـرـتـ بـأـمـلـهاـ عـلـىـ مـفـاتـيـخـ الـعـزـفـ دـونـ وـعيـ ، وـماـ لـبـثـتـ بـعـدـ بـرـهـةـ آـنـ  
قاـلتـ فـيـ جـفـاءـ :

ـ لـسـتـ أـدـريـ كـيـفـ أـجـبـ عـلـىـ هـذـاـ سـؤـالـ ..

ـ هلـ تـعـلـمـنـ ماـذـاـ سـأـلـتـكـ إـيـاهـ ؟

فـأـخـنـتـ رـأـسـهاـ فـيـ تـهـلـ وـقاـلتـ :

ـ نـعـمـ ..

ثـمـ نـهـضـتـ فـسـارـتـ إـلـىـ النـافـذـةـ حـيـثـ وـقـفـ بـحـوارـهـ ، وـهـيـ تـولـيهـ ظـهـورـهـ ،  
وـأـنـظـارـهـ تـسـرـحـ فـيـ فـضـاءـ الـطـرـيقـ .. رـأـخـرـاـ تـحـولـتـ ، وـقـدـ بـدـتـ فـيـ أـسـارـيـهـ

أبلغ دلائل الألم ، فائلة :

- أواه يا ما يكمل إما أفطع ذلك ! اني لا أدرى مادا يمكن أن  
أقول ..

و كانت تتكلم دون تلهم ، ولكنها أدرك مبلغ الذي تسببه إرادتها  
القوية حين استطردت :

- لقد قضيت وفيليب حقبة طويلة من الزمن ، كان خلامها رفيقاً في غاية  
الرفق ، وما حسبت قط أن يقع لي شيء من ذلك ..  
قالت ذلك كأنما لا جنة لها في الأمر ، فلأنه نسوة الانتصار والفوز إذ  
لمس في كلماته الرضوح للأمر الواقع .

فهتف بها من أعماق قلبها :

- إيه .. شد ما أحبك !

و خبا بريق الفرح الذي تألق في عينيها لحظة خاطفة ، لتقلصت شفتها  
وهي تصبيع :

- ما كان ينبغي أن تقول لي ذلك ، فهو ظللنا نكتم مشاهدنا لكان في  
الواسع أن نفسي في رؤية أحدهنا الآخر ..

فقال في صوت أجوف جامد النبرات :

- ما كان الأمر ليستمر على هذا النحو ..

فأدركت أنه يقول الصدق ويقرر الحقيقة المجردة ..

وأجابته :

- كلا .. انه ما كان ليمضي كذلك حقاً ..

- لقد أردت أن تعرفي يا إيه ..

فابتسمت ابتسامة رقيقة ..

و كانت تحيطها تتم عن الفهم عندما قالت :

- لقد كنت أعرف يا ما يكمل ..

وأراد أن يحاول تغيير تصرفه فقال :

- لقد حاولت أن أتجاهل الأمر ، وأن أقنع نفسي ببعث ما أطمع  
إليه .. ولكن هيئات ا فكنت أقول لنفسي أن شيئاً سوف يحدث  
فلستقيم بعده الأمور .

وكان صوته ينخفض رويداً رويداً حتى غداً أقرب إلى الحمس ، هندياً  
أو دف في يأس :

- ومع ذلك كنت أعلم أن ذلك الشيء لا يمكن أن يحدث ..  
فوافقته في أسى :

- لن تستقيم الأمور فقط .. فكلانا ليس حراً ، وكلانا لن يكون حرراً  
البنية ، وليس في وسعنا أن نفعل شيئاً ، إذ لا حية لنا في شيء ..  
وكان في وضوح هذا الكلام وصراحته القاسية ما جعل الرعدة الباردة  
موري في جسده ..

حتى كان يتزعزع الألطفاظ انتزاعاً إذ قال :

- أهنا إننا لن نلتقي بعد اليوم ؟

فأجابه إياها :

- كلا .

- والقت حولها نظرة سريعة ..

وما لبست أن سارت نحو الباب في تناقل ، وقد خلت خطواتها من ذلك  
النشاط والخففة اللذين كانوا يلازمانها دوماً ..

وهدى قائل قاطعاً :

- سوف أشعر بوحشة عظيمة لفراقك ..

فنظرت نحوه وغمضت :

- أواه يا مایكل .. وكذلك أنا ..

ونحن نلتفت لها العبارات ، فأشاحت بوجهها حتى لا يرى الدموع التي ملأت

عليها ، عندما أردفت :  
- وسوف يكون فراقنا قاسياً  
وعندئذ أحاطها بذراعه وجدتها تحوه حتى تلامس وجهها ، ثم انحني  
قبل فاهما ، المرة الأولى ..  
وكأنما كانا ينهييان الموقف ، ويستكثران هذه القبلة ، وأعادوا الكربة  
من جديد ..  
وفي هذه المرة أحاطت إيمان عنده بذراعيها ، فتعلقت به في  
حرارة وشوق ..

## الفصل الرابع

كان من العسير عليهما أن ينهيا هذه الصلة بعده ذلك ، رغم أن أحداً منها لم يكن سعيداً بها ..  
واستمرت بذلك قيام كثيراً ..

و كانت السعادة تلخص عليهما في بعض الأحيان ، ولكن الحقائق الأليمة ظلت ماثلة أمامها تواجههما كالأشباح الرهيبة ، فلا يستطيعان منها فكاكاً ..  
ولم يكن أحدهما من ذلك الظرار الذي يسمح بتطور الصلة بينهما إلى علاقة آئمة ..

و كانت إياها تعرف كثيراً من النساء اللواتي تخذن لمن عشاها في غفلة من أزواجهن ..  
ولكن غريزتها الطاهرة كانت تنفر من ذلك كل التفور ، بل لم يخطر ببالها قط أن من المعتدل أن تحدو حدودهن ..

فقد كان هذا التبدل بما يدق على فمها فلا تعلم كيف يمكن أن يحدث ..  
ولذلك كانت مشاعرها الندية تحملها تواجه المشكلة ، فتدرك دقتها وصعوبتها ..  
وما كانت حازمة من زوجها أو حاقدة عليه ، فقد كان على وشك

التخلٰ عن عمله المحبب كي يعود إلى بلده فيبقى معها و مع طفلتها ، وبذلك  
كانت نهباً بين عاطفتين كلتاها أشد طفيفاً من الأخرى ، وفاوها لزوجها ،  
وحبها الذي لا يقاوم نحو ما يكمل ..

أما ما يكمل فقد كان الأمر منه نوعاً من الكبراء .  
كان يحبها ، وكان يريد ان تكون إلى جانبه دوماً ، مما كلفه ذلك  
من ثمن ..  
ولكن الصفات والمميزات التي يحبها فيها هي التي تجعل خده الآن ،  
فتناهضه ..

ابوها ان تساير الحياة ، وعجزها المطلق عن إيجاد أي شخص ، وحل  
الأخص ذلك الزوج الذي كان « رفيقاً بها غاية الرفق » .. وما كان في  
وسع ما يكمل أن ينافسها في هذه المثل العليا ..  
فهكذا كانت إيمان ، إيمان التي يحبها !

وهكذا كانت نفسها و اخلاقها ، كما يبدو بارزة واضحة منها مثل  
عينيها الظاهرتين الصافيتين ، وشعرها اللامع المفاسد ، وأذالمها الرقيقة  
الموسيقية .

ولم يتعداها في الأمر ، او بحثاً مشكلتها بعد ذلك قط ، و كانت يتحاشىان  
في حرص بالغ الاشارة إلى ذلك الموقف الذي كان يزداد دقة وحرجاً  
لظهورها يوماً بعد يوم .. وبدأت مظاهر الأمى تبدو جلية في أسرار إيمان .  
وكانت الخطوط الزرقاء الباهضة التي تحيط بأجفانها تدلّ على ال堙امي المسعدة  
التي تتضيّها في صراع مع نفسها .

ومن ثم كان فؤاده ينفطر أسى ولوحة نحوها ، ويزداد حنقها على نفسه  
لعدم استطاعته معاونتها .

وانتهت إيمان إلى قرار معين ذات يوم ، فستكتب إلى زوجها وتوضح له  
ما حدث ، فتسأله ان يطلق سراحها ..

وقد استغرق منها إنشاء هذا الكتاب ساعات برمتها من العذاب والألم ،  
فلا أنت أحضرته إلى ما يكفل .

وراحت ترقبه وهو يطالع الكتاب ..  
وأخيراً أعاده إليها دون تعليق ، فتعاشت نظراته وهي تتناوله منه  
وأدركت أنه ينكر فيها كانت تذكر فيه تماماً .. فقد كانت تلك المحسنة  
من النذالة والقسوة إلى حد بعيد ، حيال ذلك الزوج الذي يحبها من كل قلبه  
ويثق فيها ثقة لا حد لها .

وأخيراً قالت :

- إني لا أستطيع ارساله ..  
فتفرس فيها بعيشه السوداين العميقتين كأنما ينفذ بنظراته إلى صميم  
قلبها ، وإلى حجب المستقبل معها ، فقد أحبتها في تلك اللحظة بهيل مسلم  
لم يحبها قط من قبل ..

ثم قال :

- أعرف ذلك ..

فهمست تقول في صوت متهدج :

- شد ما وددت لو أستطيع ارساله ، ولكنه يبدو أمراً غير لائق لحوله  
وتحتو آن .

- أعلم ذلك ..

كان يعلم حقاً أن إيماناً لا يمكن أن تكون خائنة ، ولو أرادت ، بل أن  
حبها نفسه قائمًا على احترام متبادل ، لا شك في أنه سيفضي إذا ما خضعا  
لهذا الحب .

ومن ثم كانت المشكلة ليست بذات حل ..

وعادت تقول كأنما تحاول أن تجد مبرراً لما تعلم انه واقع لا محالة :  
- كما انه أمر غير لائق بك أيضاً ، فما يتبيني أن يزوج الأطباء أنفسهم في

مشاكل الطلاق ، إن ذلك ربما سبب لك كثيراً من الضرر ..  
ولكنها كانت تعلم حق العلم أن مثل هذه التعليلات لا حقيقة لها ..  
وأن شيئاً أكثر أهمية من هذه الاعتبارات الدنيوية كان في طي القدر ..

وسألهما :

- هل تعتقدن أنني أبالي بشيء من ذلك ؟  
فقالت في عجلة ، وهي لا تزال تتحمّل النتيجة الحقيقة :  
- حسناً ، أما أنا فأبالي بها كثيراً ، وانني لشيء منكودة إذا ما دفعت  
بك إلى مثل هذه الورطة ..

- إن شيئاً من ذلك لا يهم يا إيمان ، فلست أبالي بأي شيء آخر ، كما يجب  
عليك ألا تدعي شيئاً يحتمل أن يحدث لي يؤثر في رأيك !  
وأخيراً ذكرت من المشكلة الحقيقة فقالت :

- ليس الأمر كذلك فحسب ، فإنني لا أستطيع التخلص عن آن .  
ورفعت عينيها إليه في ضراعة كأنها تناشدك أن يفهمها ..  
وأضافت :

- لا أستطيع ذلك بالمرة ..  
قال ذلك وهو يتقبل كلامها موافقاً ..

ثم راح يراقب أصابعها المرتعنة وهي تنزق الخطاب الذي كتبته لزوجها ،  
وام يكمن قد اعتقد أو جال بتفكيره فقط أن إيمان تستطيع أن تواجه قضيتها  
علنية ، أو تصدأ أمام الألواح التي تهلك الأمصار في حكمة الطلاق ..

كانت كبرياً لها تشور لفكرة تعريض نفسها ، وأولئك الذين تحبهم -  
ما يكلّ وابنتهها - لأعين الغرباء الفضوليين ، وسوف تظل خالصة لزوجها  
لأن إيماناً خلقت لتكون كذلك ..

وعادت تغمغم في صوت أجوف :  
- إنها النهاية بلا ريب ، ولا جدوى في أن نخّب أنفسنا ..

وراحت تتطلع إلى الفضاء دون أن ترى شيئاً ، أو لعلها كانت برى  
أمامها مستقبلاً فاقعاً حزيناً ، قبل أن تزدف :  
– ينبغي أن ينتهي كل شيء بما يكفل ..  
فلا أحسست بحركته السريعة إذم بآن يخطو نحوها ، صاحت به  
ضارعة :  
– كلا .. كلا .. لا تلمسني ، يجب أن ينتهي كل شيء ، يجب ألا يرى  
أحدنا الآخر بعد ذلك البنة ..  
وتجده صوتها وازدادت خفوتاً ، كأنما غصت بريقها ، وما لبثت أن أسرعت  
تعدو من الحجرة ، دون أن تنظر تجاهي ..  
فسمع خطواتها الخفيفة تعدو هابطة فوق الدرج وتحتاز الردهة الرخامية  
إلى الباب الخارجي ..  
ولم ير إيمارايت بعد ذلك فقط ..

## الفصل الخامس

انهملَ ما يكُل جويس في عمله بعد ذلك واستقرَ فيه وقد اهتمَ أن  
يوصي أبواب ذاكرته إلى الأبد ..  
وكان يعمل نهاراً وليلًا ، كأنما انتابته حمى ، وهو يحاول عيناً أن يقتل  
ذلك الألم والحنين اللذين ينهشان فؤاده نهشًا ..  
بل لقد حاول بطريقة تحليلية أن يستأصل أو يقلل من حدة ذلك المره  
الذي تلكه - كما كان يدعوه لنفسه .  
ولتكنه كان يعلم ، انه بعد أن فقد إيماناً قد غدت حياته خاوية جوفاء ،  
لا معنى لها ، ولا غرض منها ، ولا يهجه فيها ..  
وكان يعيش وهي مائدة في ذهنه أبداً ، ورجمها وابتسمتْها الساحرة  
يتراقصان أمامه ..  
يراماً حيثَا سار ، وأينما ذهب !  
في الغرباء الذين يصادفونه في الطريق ، وفي تلك اللمحات الخاطفة لرأس امرأة  
في المطعم .  
وفي صباح يوم مشرق سفي البهاء ، تحول عن النافذة وهو يتمدد في  
حزن ، إلى المنضدة التي كانت عليها خطابات الصباح تنتظره حتى يفضها  
ويقرأها ..

وفيما كان يهم بتناولها ، سمع رنين جرس الباب المخارجي ، دلالة على حضور أول عملائه ..  
فمضى إلى الودة حيث وقف عند قمة الدرج ، بينما مضت سكرتيرته من مارش تجتاز البهو في الطابق الأسفل لتفتح الباب ..  
فأفاقى عليها بتعية الصباح من قمة الدرج ، ورددت تججته ببساطتها المألوفة ..

ثم أضافت بغير اهتمام :  
- طاب صباحك ،idis فظيعاً ما حدث لسر رايت ؟  
فبهد في مكانه وقال :  
- مسر رايت ؟  
- ألا تذكرها ؟ إنها والدة الطلفة التي كادت تفقد بصرها ،  
وظل في مكانه شارد البال جزوعاً ، حتى فتحت الباب وقاده سيدة متينة الأسر قوية البليان إلى حجرة الانتظار ..  
وبعد لحظات ، كانت كالأعوام بالنسبة إليه ، بدت ثانية وتعلمت إلى أعلا ، وقد أدهشها أن تراه لا يزال واقفاً عند قمة الدرج ، كما أزعجها صوته وهو يقول :

- ما حدث لها ؟  
- من ؟ آه ! مسر رايت ؟ أوه ، لقد سقطت من إحدى النوافذ  
فدق عندها ..  
ثم مضت في طريقها تجتاز الودة إلى مكتبهما بالناحية المقابلة .  
فلم يزد على أن غففم :

- آه !  
ثم إذا به تفعي عيناه ، وترافق الشباء أمام ناظريه ، ويحس كأنه يستطع من هلو سعيق ، والرياح تندفع في أذنيه ، ورخام الودة السفلي يدور حول

نفسه وهو يرتفع نحوه ..

فتشبث بسياج الدرج ، وشدد الضغط عليه بأصابعه ، ثم أغمض عينيه  
في قوة !

فلما فتحها بعد هبطة ، كانت الجدران والأرض قد استقام وضعها  
أمامه ، واستقرت في أماكنها ، فسار متندجاً عائداً إلى حجرته فأورد  
بابها عليه .

\* \* \*

ثبتت بمحصلة التحقيق أن الحادث الرهيب قد وقع في الساعة السادسة  
مساء ..

لم يكن في المنزل في ذلك الحين سوى الطفلة آن ، وسادمة شهدت بأن  
من تدعى مسر كات هوارد قد زارت المنزل بعد الظهر ..

وكان مايكيل قد مضى بسيارته إلى البلدة التي عقدت فيها جلسة  
التحقيق !

وذهب في هذه إلى مكتب الحق ، بينما كانت دوريس بوند - الوصيحة  
واقفة في مكان الشهود ..

وكانت قاعة المحكمة ملأى بالحضور ، ورجال الشرطة يقفون بجوار  
الجدران ..

ورأى في المقعد الأول آن يجدار سيدة أنيقة ترقصي السواد ..  
تساءل :

- هل هي كات هوارد ؟ ..

ورجل لا ريب أنه طبيب العائلة !

روبيدة أخرى رجلاً كانت الطاهية ، وكان خلفهم صفوف من المترجين  
وهم ينصتون في طفة واهتمام ..

فتسدل مايكيل في هدوء وجلس بمحوار الباب ..  
عندما كان الحق يرفع أنظاره عن التقرير الموضوع أمامه على المنصة  
ويقول للوصيفة :

- هل رأيت مزر هوارد وهي تصرف ؟

- لقد رأيتها تستقل السيارة وذهابها خارجة ..

سؤال الحق :

- متى كان ذلك تقريباً ؟

- يمكنني أن أقرر أنها كانت السادسة تماماً .

وكان وجه دوريس بوند حارماً كأنما تشعر بأهليتها ، كما جاءت اجابتها  
واضحة في تأكيد وعيدين ..

وقابع الحق أسئلته :

- وبعد نصف ساعة من ذلك سمعت صوتاً كأنه صوت شخص؟

- نعم ..

فأثبتت الحق شيئاً أمامه .

ثم قال :

- هذا كل شيء يا مس بوند ، وشكراً ..

فخطت من مقعد الشهود ، وانحنت مجلسها بمحوار المرأة التي حدس مايكيل  
أنماطاً الطاهية .

بينما أشار أحد رجال الشرطة إلى السيدة الإنique ذات الثوب الأسود .  
فنهضت كات هوارد ومضت إلى المنصة .. وطلب إليها أن تقسم  
اليمين ..

فرآها مايكيل جويس تضع يدها المدورة بالقفاز على الكتاب المقدس ،

كما سمعها تقول :

- أقسم بالله ان أقول الحق ، كل الحق ..  
وعندئذ ذكرها ما يكل جويس ..

فهي نفسها السيدة التي كانت في منزله ذلك اليوم ، مع إيمانها بعد الجراحـة  
التي أجريت لأن ..

فلما مضى صوتها الجلي الرقيق متتماً :

- ولا شيء غير الحق ..

تحولت بوجهها البيضاوي الحال بالسواط نحو الحق .

فقال لها :

- هل أنت مسر كات هوارد ا

- نعم ..

- وعنوانك هو ..

فقامعته في عجلة قائلة :

- الذي أقيم في فندق اركاديا ..

- نعم .. ما هي قرابتكم بالمتوفاة ؟

- لقد كانت زوجة أخي فيليب ..

فسأل الحق :

- مني رأيت مسر رايت على قيد الحياة لآخر مرة ؟

- في نحو الساعة السادسة من مساء يوم الحادث ، وكنت قد قضيت معها  
زهاء الساعة ..

- لعلك كنت على موعد معها ، لتناول الشاي مثلًا ؟

فأجاب مسر هوارد :

- حسنًا .. انه لم يكن موعداً بالمعنى المفهوم ، وكل ما في الأمر انهـا  
كانت تعلم اذني قد أمر بها ..

(٤) الفحصية

- ولكن ، هل كانت يومئذ تتوقع حضورك إليها ؟

- حسناً .. إنها لم تكن تتوقع ذلك تماماً ، فمنذ أن قتل زوجي اعتقدت أن أبسط عليها كلما كنت قرينة من المزد !

- وماذا حدث عند وصولك ؟

فأجابت في صوت واضح وبغير أكتاف :

- لا شيء ..

- هل تحدثنا ؟

- نعم .. لقد فرقنا بعض الوقت ..

- هل كنتما تتحدثان عن شيء معين ؟

- كلا .. مجرد فرقنة عادلة ..

فأسأل الحق :

- هل كان يبدو عليها الضيق أو الاكتئاب ؟

- حل العكس ، كانت بادية المرح والفبطة ، تقطلني إلى عودة زوجها الوطن في حين وطفة ..

فتسلل مايكيل جويس في مجلسه ، وراح يتذكر إلى الشاهدة في امعان !

فلا ريب أنها كانت تعلم أن هذه اكتدرية صارخة ، ومع ذلك فقد راحت تواجه الحق بنظرات قاتمة ، هادئة ، متألمة روحها تماماً ..

واستطرد بسالم :

- هل كانت حالتها على غير ما يرام ؟

- كلام البنت !

- إذن .. فلم يكن في مسلكه ما يوحي بأن هناك شيئاً غير عادي ؟

فأجابت في تأكيد :

- كلام .. لم يكن ثمة شيء بلا ريب ، ولكنها كانت دائمة شديدة

الخوف من المرتفعات ..

فرد المحقق قوتها :

ـ كانت شديدة الخوف من المرتفعات ..

بينما كان يكتب أمامه :

ـ وما لبث أن واجهها بانتظاره قائلاً :

ـ هل تعرفين أنها قالت لك ذلك في هذا اليوم بالذلت ؟

ـ حسناً .. كلاً ..

ـ فلماذا إذن تذكرينه الآن ؟

فتشنعت الدهشة والسعث عيناها في براعة وهي تحبيب :

ـ لأنني ظننت أن هذا هو التعليل الوحيد لسقوطها من النافذة .

فعاد يسجل شيئاً أمامه في الورق ..

ثم فكر لحظة قبل أن يتبع أسئلته :

ـ ماذا كانت مسر رأيت تفعل هنديماً عركتها ؟

ـ كانت في حجرتها ، وأظنها كانت على وشك استغراج درج جوارتها !

ومرة أخرى عادت نظرات الحق تستقر عليهمَا ببرهة ، كأنما ينتقي

كلمات سؤاله التالي .

ـ وما لبث أن سعل ..

ـ ثم قال :

ـ شكرأ يا مسر هوارد ، هذا كل شيء !

فاستدارت كات هوارد ، وخطت من النص :

فأسرع مابكى ينبعي إلى الأمام ، كأنما يلتفط شيئاً من الأرض ، حتى  
يمحول دون أن تواه .

وكان وقتئذ مقطب الأسaris ، إذ حل الرغم من مسلكه في منصة  
الشورد ، الذي بنم على استعدادها الطيب الاجباده على الأسئلة ومساعدة العدالة

في تبيان الحقيقة .

كان ما يأكل جويس موقفنا من أنها تخفي شيئاً .

كانت وثيقة الصلة باما ، اتراها كثيراً ، وكانت تعلم أن حساة إيماس لم تكن على ما يرام ، وأنها في الأسابيع الأخيرة ، كانت متورطة الأعصاب شديدة القلق والضيق .

ومع ذلك فهي تقول :

«لقد كانت بادئة المرح والفبطة ، تنطليع في حنين إلى عودة زوجها للوطن » .

فماذا ترمي إليه بتضليلها للمسكك ؟  
أهي رغبتها في أن تدع إيماس برقد في مضمونها الأخير مستريحه هائنة ،  
وتتعاشي المزيد من المناقشة والاستقصاء ؟

إذا كان الأمر كذلك ، فلا ريب أن كات امرأة على جانب كبير من رقة الشعور والبلادة ..

أتراها كذلك حننا ؟

وسرت في القاعة موجة من الرثاء والاشفافى عندما مضت آن إلى مقعد الشهود ، في معطفها الأزرق المدرسي ، وساقيها الطربلتين النجعيتين وهما تترنحان قليلاً ..

وسألهما الحق أن تندو منه حيث وقفت بجواره شاحبة الوجه بشعرها القصير الجمود تحت فلنسوتها المصغيرة .

وخططها الحق في رفق قائلًا :

ـ آن ! لا ريب أنك تعرفين ما هو الحق ؟

ففهمقت بمحيبة :

ـ نعم ..

ـ سوف أطرح عليك الآن بضعة أسئلة ، ويجعلني أن تخبريني بالحقيقة

## المجردة ..

ثم ابتسم لها مشجعاً وهو يقول :

- هل فهمت ؟

فأومأت برأسها ..

- والآن .. متى رأيت والدتك لآخر مرة يا آن ؟

- قبل أن أذهب إلى فراغي بقليل .

- وأين كانت وقتئذ ؟

- في حجرتها ..

- هل دخلت الحجرة وتحمّلت اليمها ؟

فنظرت اليه بعيونها الصافية الزرقاء ، كعیني إليها تماماً .

وأجبت :

- لقد ذهبت لأنقي عليها تحية المساء ..

- وهل القيتها ؟

- نعم ..

- هل كانت والدتك في حالة طبيعية ؟

فاختلعت أهداب الفتاة قليلاً ..

ثم قالت في اقتضاب :

- نعم ..

- والآن خبريني يا آن أهل كان بالحجرة شخص آخر عدا والدتك ؟

فترددت الفتاة لحظة وجيزة ، وغضت شفتيها السفلية كأنما ت يريد أن تسلك

دموعها عن الجريان .

ثم سولت نظراتها عبر القاعة إلى كات هوارد ، متوسة ..

وكان مايككل يرقبها في امعان ، ويتابع كل حركة تائياًها .

فرأى كات هوارد ترفع منديلها في رفق إلى عينيها ، ثم تشير برأسها

إشارة نفي سريعة ..

كانت حركة لا تساعد تميزها العين ، ولكنها كانت حافلة بالمعانٍ بالنسبة لافت ..

وعندئذ أجبت الحق في وضوح :

- كلا ..

- ألم يحدث شيء يبدو غير عادي في نظرك ؟

- كلا ..

فأتحنى الحق فوق مقعده وراح يطرق بقلبه في تفكير ..

وما لبث أن قال :

- شكرًا يا آن .. هذا كل شيء ..

وتبعها ما يكلّ بنظراته وهي تعود إلى جوار هفتها ، كان هوارد .

وبعدئذ دعى طبيب المسائلة للشهادة ، فأقسم اليمين ، وبدأ يدلي بمتغيره الفي ..

وإذا كان ما يكلّ مقتضياً بأنه قد سمع كل ما بين ، متهمًا على الأقل أنه آن وترفقه ، فقد تسلل من قاعة الجلسة سريعاً واستقل سيارته عائداً إلى المدينة ..

وكان يقودها دون وعي ، وهو لا يشعر بشيء سوى مرارة الحزن وهول الخسارة .

فهي إيا ، إيا الفاسحة ، إيا الحبيبة إلى نفسه ، قوت ميتة شديدة ، فجائية ..

وها هي إذ تموت ، تكشف أمورها الخاتمة وتذاع وتنافق في مختلّ عام ، وقاعة المحكمة ملأى بالفضوليين ، معرضة بذلك لما كان كبيراً وما يأبه كل الأباء في حياتها .

وكانت تأتي لحظات يفبطها فيها ، وقد ماتت وغدت وحيدة لا يزعجهما

شيء ، ولا تشعر بشيء البنت ، ثم يتسلكه بعد ذلك شعور من الدهشة والعجب والخيرة ..  
كيف ؟ ولماذا ؟

فقد كان يعرف أيها كل المعرفة ، وهي لم تشر فقط إلى خوفها من المرتفعات أو من شيء آخر ..

بل لقد رأها ، إذ كان معها ذلك اليوم من أيام الخريف الأخيرة تتعيني فوق حافة الصخور العالية ، وترقب الأمواج وهي ترتطم بالصخور أسفلها بعثاث من الأقدام .

فسكانت متوردة الوجه ، رابطة الجاشه وقد هز أعماقها الشعور بأنها قد ارتفعا عن العالم وسموا فوقه ..  
لم يكن فيها أثر للخوف أو الوهم .

ولتكن هذا التغيير الفجائي كان عسيراً على الفهم أو التفكير ..  
وكان لجوء أيها إلى الانتحار بعيداً عن كل تصديق ، فقد عرفت نفسها في الحياة وتقبلته في رضى ، مضحية بسعادةها الشخصية ، وسمادقها ، على مذبح شعورها بالشرف والوفاء نحو زوجها .

وإذا كانت قد أواته ظهرها ، هو الذي أحبته من كل قلبهما ، لنكرس نفسها في قفان وبغير أثر أو آثارية لطفلتها ولذلك الزوج .  
فهل يصدق انسان أنها تنحرف فجأة تحت وطأة اليأس ، فتقتل نفسها ،  
ماركة آن يتيمة ، وماركة والد آن ليواجهه الكارثة عندما يعود إلى الوطن ؟  
ذلك شيء بعيد الاحتمال يأبه العقل كل الأباء ..

وهي قد غادرت منزله ، للمرة الأخيرة ، كسيدة القلب ، ولكنها كانت قوية العزم ، على أن تبقى مع آن ، وإن تنشئها فستربيها في جو أسرة سعيدة مترابطة ..

فما الذي حدث بعد أن تركته ؟

انه ليعدب نفسه بالأستلة طول اليوم وهو يلتفي مواعيده المسائية ويؤصد  
أبواب عيادته ..

ثم يبقى في حجرته ، ورأسه بين راحتيه ، مفكراً ، معيناً في التفكير ،  
يستعيد في خيالاته كل ما عرفه عن إيمان ..

وكان في بعض الأحيان يضي إلى المعزف ، فتجول أنامله فوق مفاتيحه  
في رفق ، كأنما يبحث عن جواب لهذه الأسئلة في الموسيقى ، وكأنما يحاول  
أن يجعل ذهنه وسط النغم ..  
ومع ذلك فلا جواب ..

كيف ؟ ولماذا حدث ذلك ؟

وحلت إليه صحبة المساء عرضاً وافياً لما حدث في جلسة التحقيق ..  
بل لقد كانت في صدرها صورتها كأنها تتطلع إليه في حباء ونهر ..  
فإذا أنعم النظر فيها ، تبدت له خلاتها صورة آن .. أكثر ما تكون  
شبيهاً بآمنها ..

فعادت ذاكرته إلى ما تبدي في أسارير الطفلة من ضيق وأسى وهي  
تشيخ بآنظارها عن الحق ، ملتمسة العون والنجدة من عمتها آن ..

وعاد يذكر سؤال الحق :

« هل كان مع والدتك أحد ؟ ..

ثم إشارة كانت هوارد لاطفلة ، تلك الإشارة الصريحة ، ثم إجابتها المفهومة  
الوجلة ، وهي تقول :

« كلا ..» .

لما الذي كانت تخفي آن ؟

وما الذي تعرفه تلك المرأة ؟

وسمع طرقاً على الباب جفل له راتنهض ..

فقد جاءت الوصيفة وسألة :

- هل ستعود لتناول العشاء هنا يا سيدى ؟  
فنظر اليها في فتور وغموض ، وقال :  
- كلا .. إنني ..  
وكانا استقر عزمه على شيء إذ استطرد :  
- كلا .. سوف أتناول العشاء في الخارج ..  
ثم هرك الصحبة بين يديه ، والقى بها جانبها ..  
فقد أستقر عزمه على شيء يفعله ، شيء قد يعينه هل تفهم مصلح أيام ..  
فقد سمع كات تقول المحقق :  
- إنني أقيم في فندق أركاديا !

الفصل السادس

لېكىن مىاينكل جويس قىدىكىر ئاماً كېف يېداً حىدېشە مع مەسىز  
ئات ھوارد !

ولكن ، عندما اجتاز أبواب الفندق العظيم ، بدأ الطريق أمامه سلسلة مسراً ..

وكان يعرف الفندق ، ويعرف جلبيته وضوضاءه ، وفخامتها ويدخله ،  
ويعجب كيف يطيق بعض الناس الحياة في مثل هذا المكان ، دون ان تهمـار  
أعصابهم أو ينطأ لهم الصداع ..  
وسائل الفتاة الخامسة في مكتب الاستكمال :

- هل مسز كافن هوارد هنا؟

فاجابتني في نبرة آلة، دون أن ترفم رأسها:

- إن الحفلة في جنام هنر ديفا بالمخبرة رقم .. ٢٩

F 1121 -

**وعندئذ تظلت اللہ قائلہ :**

- انتي آسفه يا سيدى ، حسبتك أحد المدعون إليها ..

فاجعات في عملية :

- انو گذلک -

- إنها بالمحجرة رقم ٢٩ يا صدي .. الطابق الثاني  
وبارد يرتفع المصعد إلى جناح مسرى ديفا الجهرة ١

حيث راح يتغرس في تينك الحجرتين اللتين تكسو أرضها طنافس حبيبة  
وتغطي نواذتها أستار كثيفة ، وقد زخرتا بمحشد حافل من الرجال والنساء  
كانوا مكتدين فيها إلى درجة الاختناق ، وهم يذرون ويشربون وتتعالى  
ضحكاتهم ..

وكان يحول بينهم سقة يرتدون سترات ناصعة البياض ، ويحملون صعافاً  
كبيرة رصت فوقها أقداح الشراب .

كما كانت أنغام الموسيقى تنبغى من مدباع أخفى في أحد الأركان ..  
فلا بلغ ما يكل جويس مدخل الجناح واجهته الضوضاء والحرارة وعطور  
السيدات ، كانها عاصفة ارتسمت بوجهه بفترة ..  
وتسلى إلى الداخل في حذر ..

وفي اللحظة نفسها اندفعت نحوه سيدة في منتصف العمر شقراء - تبين  
لتى أنها كانت حاضرة مجلس التحقيق - وأمسكت بيده البىرى في  
حرارة وهي تقول :

- شد ما يسرني إنك استطعت الحضور يا عزيزى ..

ثم القت عليه ابتسامة مشرقة وأردفت :

- لا أحسبني في حاجة إلى تقديمك ، فكل أمرى هنا يعرفك ،  
وانشئت تصريح بفتنة كانت خلفه فلم يرها :

- آه .. ها هي جوان .. تعالى يا عزيزى ، فلا ريب إنك تعرفين  
هذا ..

وفي لباقة عجيبة تحاشت الاسم ، بجهلها به ، وحولت الحديث بفترة  
إذ هتفت :

- ولكنني لا أطيق أن ارى أحداً خللت يده من كؤوس الشراب .

وتناولت كاسين من الكوكبيل من فوق صحفة كان ير بها أحد السماة ،  
ورفعتها في أيديها .

ثم كسرت عن نواجذها في ابتسامة عريضة ، وتحولت تستقبل قادمة  
جديدة .

فسمعتها ما يكمل تقول في صيحة حارة جديدة ، عبارتها التالية :  
ـ شد ما يسرني أذلك استطعت الحضور يا عزيزي ..  
وتحول ما يكمل إلى زميلته ، فالفاها حسناه فاحنة الشعر .  
كانت تقول :

ـ هل لك ان تضع هذا القدر في مكان ما ؟ اني لا أستطيع أن  
أشربه . آه اها هي ذات موارد ولكن رباء ، في يوم الخنازة ؟ كيف  
تجروا على ذلك ؟

فالتفت ما يكمل خلفه في بطا ..

وإذا بكات تقف متسلحة بالسواد ، ووجهها البيضاوي يشرق بابتسامة  
وضاءة ، فوق حافية القدر الذي كانت توشفه ، وقد أحاطت بها لفيف  
من المدهونين .

كانت كما رأها في قاعة الجلسة تماما ..

ولتكنها كانت هنا أوفر حيوة ومرحبا ، يبدو عليها الاستمتاع بالحفلة  
إلى حد بعيد !

وراح يشق طريقه نحوها وهو يتمتم بكلمات الاعتذار والاستئذان  
بنية ويسرة .

وكاد يفلح في الوصول إلى الحلقة التي تتواصطها ، عندما تصعد مسر  
ديفا فجأة هاتفة :

ـ هل تر كوك وجدأ يا عزيزي ؟

وكانت تقول لنفسها :

- أين يحق السماء التقطت هذا الشاب الجميل الفارع الطول الفاحم الشعر ؟  
أني أعجب من أين هبط عالي ، ولكن الأعجب هو كيف نسيت اسمه ، لا  
ربّ أني فقدت عقلي ..

ثم عادت تقول في صوت مرتفع :

- هنا فتاة سوف تجئ بك هيااما ، ولا ريب أنها تتوق إلى معرفتك .  
فرأى ما يكمل نفسه ووجهها لوجه أمام امرأة تحبّة مدينة القسامـة ، كانت  
تبعد في حاجة قصوى إلى الطعام والنوم ، وكانت تنظر إليه في غير  
اكتـاث .

بينما كانت المجهـوز تقول :

- سيلفيـا يا عزيـزـي ، إنـك لم تـتـعـرـفـي إـلـى بـيـترـ منـ قـبـلـ ، وـلـكـنـهـ يـوـتـ  
شـوقـاـ إـلـى مـعـرـفـتـكـ ..

ثم انتقلت مسرعاً إلى جهة أخرى من القاعة ، وفي الوقت نفسه سمع خلفه  
شخصاً يسأل :

- من الذي وجد الجنة ؟

فالـبـ ما يـكـلـ الحـنـقـ الـذـيـ اـهـتـمـلـ فـيـ نـفـسـهـ ، وـتـحـولـ إـلـىـ الـمـرـأـةـ النـجـيـبةـ  
قـائـلاـ :

- هل أسلـكـ سـيلـفيـاـ حـقـيـقـةـ ؟  
فـتـطـلـعـتـ إـلـيـهـ فـيـ دـهـشـةـ ، وـهـيـ تـقـولـ :  
- وـمـاـ فـيـ ذـالـكـ ، أـتـرـاهـ لـاـ يـرـوـقـ لـكـ ؟  
وـلـكـنـهـ اـبـتـمـ قـائـلاـ :

- لا شيء من ذلك فقط ، إن اسمي ليس ( بيـترـ ) .. وـالـآنـ مـعـذـرـةـ ،  
فقد وعدت بحمل هذا الشراب إلى شخص آخر ..

وـأـمـرـعـ يـلـسـلـلـ إـلـىـ الـلـجـعـ الـمـبـطـ بـكـاتـ هـوارـدـ .  
فـسـمـعـ جـوانـ تـقـولـ :

- يا المسكينة إيمان .. سوف تترك فراغاً كبيراً لديك يا كات ..  
وفي الوقت نفسه رأته كللت ..

فرسحت به هاتفة :

- أهلاً بك يا دكتور ، إنني لم أوقع البتة أن أراك في حفل كهذا  
فقال الطبيب :

- وأنا نفسي لم أكن أوقع أن أحضر مثل هذا الحفل يوماً من الأيام

- إنني لم أراك منذ أيام طويل ..

فابتسم لها قائلاً :

- إنك تلوحين في حالة طيبة ..

- بل إنني اليوم أشهي بالخطام ، فقد قضيت يوماً مارهيناً قصراً ، ولعلك  
علمت من الصحف أن زوجة أخي - إيمان رأيت كات تعرف - قد سقطت من  
النافذة ، وقضت نفسها ..

فتظاهر بالأسى تادياً ..

وغمغم :

- نعم .. لقد علمنا بما حدث ، وإن اشديد الأسف ..

فقالت كات هوارد :

- لقد عدت من الجنازة للتر ..

وفي تلك اللحظة اندفعت نحوها عجوز بادية الفضول ، صائحة :

- كاترين .. يا هزير في المسكينة .. ما الذي حدث معها ؟ هل لعنةدين  
أنها هي التي أقتلت بنفسها من النافذة ؟

فلم تعرها كات التفاتاً ، وطلت تبلسم لمايكيل وهي تجذب في مدوه :

- كلا .. لم تفعل ذلك بلا ريب ..

فقالت العجوز :

- لقد كنت أقول لجيوفري أمس أن كاترين المسكينة سوف ينتهي

كاملها بذلك الطفلة ..

- مل تمنیں آن ۹ -

وَكَانَتْ تَقُولُ ذَلِكَ فِي غَيْرِ اكْتِرَاثٍ ، مَا جَعَلَ الْأَمْ بِشَرٍ فِي أَعْمَاقِ قَلْبِهِ ،  
وَلَكِنَّهُ كَمْ شَعُورٌ .

- لا تذهبني يا كاترين قبل أن أسم القصة كلها ..

**فَلَا انْصَرَفَ ، قَالَتْ كَاتِبَةٌ :**

- شد ما تضايقني بأسئلتها السخيفة ..

فناں مایکل :

- أهي صدقة لك ؟

فـتـطـلـعـت إـلـيـه بـعـيـنـيـها السـاحـرـتـين خـلـال أـمـدـاـبـاـها الطـوـرـةـ المـشـفـلـةـ بـالـطـلـاءـ ، وـقـالـتـ :

- ان كل أمرىء يبدو صديقاً لي هذه الأيام ، وكل ذلك بسبب إيمان المسكينة فهم يودون أن يعرفوا جميع التفاصيل المروعة ..  
وكانـت ترشـف الشـراب في رـشـاقـة ، فـقالـ ماـيـكلـ وهو يـلـسـمـ لهاـ مشـحـضاـ  
ابتسـامـة ذاتـ مـغـزـى :

فِدَا عَلَيْهَا الْإِنْتِبَاج ..

وَعَمِّضَتْ تَقُولْ :

- يا لها من فكرة موفقه ، فلو بقيت لسقطت في الفخ كالجلد .  
وبينها كاما يمتازن الحجرة ، التقت بها سيلفيها التعبيلة ، وقد بسدا  
عليها الاهتمام أخيرا ..

- يتبين أن أعلم بذلك الحقيقة يا كات ، فإن زوجي يقسم بأن شخصا قد دفعها من النافذة ، وإن الحقيقة قد خلقت في مدهما تجنبًا للفضيحة ، فتعالي مجلس معا في ركن هادئ ، إذ إنني لا أطيق أن أظل في ظلام دامس لا أعرف الحقيقة ..

فأاقت كات نظرة حزينة نحو مايكيل ، وخطت إلى الأمام لتتجنب المرأة ، وهي تقول :

- أني حقا لا أستطيع ذلك الان ، فيجب أن ..  
فاسرع مايكيل ينظر إلى ساعته ، ويضيف ليناذه من الورطة :

- ان تتصل بي بذلك تليفونيا ..  
فيبدا عليها الارتباك لحظة ..  
ثم اومأت إلى سيفينا قائلة :  
- فهم .. والدتي .. إلى اللقاء يا عزيزي ..  
وتمهلت ببرهة عند الباب لتقول له :  
- إنك حقا نعمة أرسلتها لي السماء ..

وفي اللحظة نفسها وجدوا أمامها مسر ديفا كأنها اشترت الأرض عنها فجأة ، قائلة :

- إنك لن تتصرف الآن يا عزيزي كات لا تتناولين العشاء معنا ؟  
فأجابـت :

- لم أعد أطيق احتفال أستلهـم الرهيبة ، أما العشاء ..  
ونظرت إلى مايكيل من طرف خفي ..  
ثم استطردت :

- فلا تحيـي لي حسابـا فيه ..  
وسرعـان ما تشبـثت بذراعـه وصاحت :  
- أمرـع .. فـها هي تلك المـعوز المـروعة ذاتـه .

ولوحت بيدها لضيقها هاتفة :

- سوف أراك فيها بعد يا عزيزي ..

وطلت مسر ديفا ترقبها وهم ينصرفان معاً، وتعجب هل تحب كارين  
هوارد حقاً، صديقتها الحبيبة؟ وهل تحبها كارين، وهي تنصرف من  
الحفل مع أجمل رجالها مظهراً، بعد أن وعدتهم بأن تبقى لتقص عليهم كل  
 شيء من أنباء جلسة التحقيق؟

\* \* \*

صعب مايكل ( كانت هوارد ) لتناول العشاء في أحد المطاعم الفاخرة  
المكتنزة بالرواد، لا تلك المطاعم الهادئة الصغيرة التي كانت إيمارايت تحبها،  
ويفضلان ارتياهها ..

وقد وافقت كات على اختياره وقالت :

- إن ذلك المطعم هو الوحيد الذي يمكنه أن تتناول الطعام فيه في  
راحة ويسر ..

وكانت بادية الابتهاج بفرقة الموسيقى ذات العازفين الثنائي، وبالمائدة  
الخاصة التي اضطر مايكل إلى رشوة رئيس التدل ليجعلها لها ..

وما كادت تستقر في مكانها حتى انطلقت تقول :

- أخشى أنني لا أرتدي ثياباً تليق بهذا المكان . فلم تكن لدى لحظة  
واحدة لاستبدال ثياب أخرى بهذه، إذ عدت من الجنازة مباشرة، لقد  
كانت اليوم، كما تعلم ..

- حقاً؟

رفي الضوء المظلل لمصباح المائدة، المنعكس عند غطائها الأبيض، راحت

تنفخن زينتها في مرآة صفيحة ..  
وكان الحمار الأسود ، المحيط برأسها وذقnya أشبه بطار من الأبنوس يحيط  
بصورة جامدة لوجهه مقنع لا تنم أسراره عن شيء ..

وكانت تحلي صدرها بمشابك من الماس تتألق فوق السواد كالنجوم في  
ليلة ظلماء ..

فمجب مايكل ، هل تعد هذه الخل من لوازم الحزن ؟  
و كانت تبدو أنيقة ..  
وفيرة العناية بهندامها ..

ولولا السواد الذي ترتديه لما حسب انسان أنها قادمة للتو من جنسازة  
صديقتها وزوج أخيها ..  
فلما اطمأنت إلى كمال زينتها ..  
غمضت قائلة :  
ـ حدا له أن فرغنا منها سريعا ..

وعندئذ سأله :

ـ ما الذي انتهى إليه أمر آن ؟  
فتطلعت إليه مشدودة وقالت :  
ـ آن ؟ هل تعرف آن ؟

فأجاب مايكل :

ـ لقد أجريت لها جراحة منذ بضعة شهور ..  
فضحكت وقد زال عنها ذلك القلق العابر ..

ثم هتفت :

ـ نعم .. نعم .. يا لي من حفاء .. لقد خيل إلي أن أمامي  
أحد أولئك الفضوليين الذين كانوا في الحفلة .. فقد كدت أنسى أين  
رأيك لأول مرة ..

فرد الطبيب :

- حسناً .. ما الذي صار اليه أمر آن ؟

- أوه .. لقد ذهبت إلى ( بات ) .. فإن لو الذي منزله هناك .. ولم أستطع الذهاب معها لأنني على خصم مع والدتي ، ولو أنك قد لا يهمك ذلك ..

- على العكس ، بل يعني ..

- هذا تلطف منك أشكرك عليه ، ولكن الواقع أنني أهذى ولا أدرى عن أي شيء أتحدث ، حق ليغيل إلى أن جيني ديفا قد مزجت الشراب بعادة زبده من أوره .

- سوف يزول عنك ذلك عندما تأكلين ..  
وكان يرى أن مهمته قد تكون سهلة ميسرة إذا انطلق لسانها من عقاله .

ومن ثم استطرد يسألها :

- وماذا حدث لمنزل إذن ؟

فنظرت إليه كأنما لا تفهم ما يقوله ، وغمضت :

- أي منزل ؟

- منزل مسر رايت ..

قبدا عليها الضيق ، وقالت :

- آه إنه معروض للبيع ..

- هكذا سريعاً ؟

- لقد نقلنا آن منه قبلة موت أمها .. ولن يطبق فيليب رؤية المكان الآنية ، ولذلك فهو خال الآن .

فغigel إليه أنه يرى الواجهة الغريبة لذلك المنزل المظلم القائم وسط الأشجار والحدائق كالطود الشامخ .

لقد أفتر الآن من ساكنيه ، فقد غابت إيا عن جنباته إلى الأبد ، كما  
غابت إيا عن حياته إلى الأبد ، وغدا كل شيء في الحياة بعدها  
خلاء مقتراً ..

وأفضل ما يكلّ عينيه لحظة سريعة ، وهو يصغي إلى نبضات قلبه  
تمس باسمها :

- ٤٦ -

وعندئذ سمع صوت كات تهول في صبر نافذ :

— ألا يفکر أحد في احضار قائمة الطعام لنا؟

فاستجتمع مابكل قواه وحواسه ، رصاع بنادي الساقى .

ثم راح ينتقي لها الوان الطعام وبدل جهده في الظهور بظهور الابتهاج والمرح ، واستعثثها على أن تحمدن عن نفسها ، في حين كانت ملاحظاته عليها متملقة مادحة ..

ولقد حمد إلٰى الأغرار في رعايتها وتسليمها واسعنة الغبطة في نفسها ،  
بینا كان يرقبها في امعان کا لو كانت إحدى المريضات جيء بهَا أمامه  
ليشخص مرضها ..

ولاريب أنه نجح معها إلى حد معين ، ففي ساعة متأخرة من تلك  
الليلة ، عندما أوقف سيارته أمام باب الفندق وساعدها على المبوط قالت :  
- ليس في وسعي أن أفيك حلقك من الشكر ، فقد أنقذتني من حفة  
صغيرة ، وخففت عني همومي ومتاعبي .

شم ایتست له فی انتصار، و آردفت:

— أیكون من سبق المحوادت أن أرجو لقاءك مرة أخرى؟

فُلْجَابْ فِي تَوْدَوْ :

- لو صبرت لحظة واحدة اسمعوني أقترح عليك ذلك ..

**فلاح في عبادها السرور وغفران :**

- هيا اقترح إذن ..  
- هل ستكونين حرة مساء الغد ؟  
- في وسمى أن أكون .. أين ؟  
- بالطبع نفسه .. حوالي الساعة السادسة ، في المتنفس ا  
- حسناً .. طاب ليذلك !  
ومدت اليه يدها للفطاة بالقفاز ،  
فقطفط عليها ضفطة سريعة ..  
ثم مكث مكانه حتى رأها ورقي الدرج في رشاقة ، ثم تختفي خلف  
الباب الدار .

## الفصل السابع

استقر عزم مايكل جويس على أن يقوم بزيارة منزل إيمان التالي ..  
ففادر لندن ذات مساء ومضى بسيارته في الطريق الريفي المفتر ، نفس  
الطريق الذي اجتازه مرة من قبل ، وإيمانا إلى جانبه ..

ومع أن الحافظ له على هذه الزيارة كان عاطفياً بحثاً ، أساسه الخنين إلى  
ارتفاع ربوع الحببية الحالية .

إلا أنه لم يكن قد رأى منزل إيمانا من قبل .  
وخيّل له أنه إذا استطاع أن يلقي عليه نظرة فلمع ذلك يوحى إليه محل  
هذا اللفر المستغلق ..

لغز مصرع إيمانا الفجائي .  
وبدا له الطريق طويلاً الليل ، حتى لقد بدأ يخشى أن يكون قد  
ضل سبيلاً وسط الأحراس والقفار التي تند أماته وعلى جانبيه تحت سماء  
صافية ..

فراح يتقدم بالسيارة في ببطء وتمهل ، متفرساً في معالم الطريق سراليه ،  
حتى لاح له المعبد القديم الصغير ، قائمًا داكناً في مكانه المعهود .  
وإذ أطمأن إلى أنه يسير في الطريق السوي ، أغምض عينيه وضاعف من  
سرعة السيارة ، وهو يجهد في إبعاد ذكرى تلك الليلة ؛ عندما وقفت إيمانا

مرتكزة إلى الجدار الحجري الصد ، تخبره أنها تحب هذا المكان ، وتحس بالراحة والدعة فيه ..

حسناً .. ما هي ذي إيمانك في راحة أبدية وسلام دائم ..

وأرقف السيارة في الممر المؤدي إلى المنزل وأنوارها مطفأة ، يمثل ما فعل في تلك الليلة ، عندما وقفت تودعه ، وتحبيه تحية الفراق .

وكان المنزل الكبير الشامخ يحيط به سكون شامل ، لا ينبئ عنه بصيص من ضوء ، أو هسيس من صوت ..

فاثنى يطوف حوله باحثًا عن منفذ يلتجئ إليه منه

ولكنه وجد الأبواب جميعها مسدة الغلق ، والذوافد موصدة لا سبيل إلى اقتحامها ..

وأخيراً وجد نافذة صغيرة يحوار المدخل الرئيسي ، أدرك أنها تؤدي إلى الدهة !

فتداول قطعة من الحجر وحطم بها أحد الألواح الزجاجية ، فتناولت شظايا الزجاج على الأرض في زين حاد تقبض له النفس . وتلفت ملائكة حواليه ، وهو يرهف السمع برهة قبل أن يجد بيده خلال الثقب فيسير عقب النافذة ويفتح مصراعها ..

ولم يسمع حسماً أو حركة ..

فقد كان المنزل خاويًا مهجوراً ، وعندئذ تسلق حافة النافذة في عجلة ، وما لبث أن وتب منها إلى الداخل !

وكانت خيوط متآلة من ضوء القمر ، تتمكّن على الأرض اللامعة المصوّلة ..

فلمَا اعتادت عيناه الظلام استطاع أن يميز في نهاية الدهة ثغرة في الضوء أدرك أنها باب موروب ..

فمضى نحوه ورفعه في رفق ففتحه ..

وإذا بضوء القمر يتسلل من نوافذ عريضة عالية تؤدي إلى الشرفة ، التي  
تشهي بدرج صغير يحيط إلى المدرسة .

وانبعث خلفه في المجرة فجأة مدير خافت ، أعقبه صوت ارتطام شيء  
بالأرضية ..

وقلا ذلك رنين إيقاع منتظم قوي .

فاستدار على عجل ، حيث رأى الهرة الخائفة تعدد فزعة ، على حين استقر  
جسم معدني صغير مثلث الشكل على الأرض تحت المعزف .  
فمضى إليه والتقطه ، وإذا به جهاز يشبه الساعة المائية ، شخص اضبط  
الإيقاع الموسيقي . فأعاده إلى مكانه ، حيث استمر في رنينه المتتابع  
القوي ..

كانت هذه حجرة الجلوس ، المجرة التي اعتادت إليها أن تقضي فيها  
أوقات الفراغ ،

كان كل شيء فيها كما تركته ..  
لها هو ذا معزفها الكبير لا يزال مفتوحا ..  
ونظر له أن يحرى أفاله فوق أصابع المعزف ، تلك التي طالما مستمتع  
أتمل إيمان قبل وذكر قوله :

«إن في الموسيقى راحة ودعة ، إذا ما شعر المرء بالوحدة » ..  
ورى هل يلقى فيها شيئاً من الراحة والدعة يوماً من الأيام ؟  
ونظر إلى النورة الموسيقية الموضوعة في مكانها فوق قمة المعزف ، كانت  
إحدى مقطوعة موزار الحالية ..

ثم نظر إلى جهاز الإيقاع الآلي ..  
لقد كانت تدرب آن على العزف هنا ..  
في هذا المكان بالذات ..  
وتعلمها كيف يطابق عزفها إيقاع الجهاز !

و عند ذلك مد يده وأسكنه ..  
فساد الحجرة صفت عميق .

وغادر قاعة الجلوس ، فارتقي الدرج المؤدي إلى الطابق العلوي ، حيث طاف بعده سبع ساعات وجدتها كلها مظلمة وقد أسدلت الأستار على نوافذها . ولكن أحدها لم تكن حجرة إيمان .

فما ولج حجرة أخرى بعد ذلك ، أدرك للتو أنه في حجرتها ، فها زال  
بها أريح خفيف من عطرها المحبب ..  
ولا ريب في أن هذه الحجرة تبدو بالنهار فسيحة ، جميلة ، تصبح في أشعة  
الشمس ..

أما آلان في الظلام ..

في غيابها ، فهي متابعة موحشة ملأى بالظلال .

وعندئذ ماضى نحو النافذة ، فجذب أستارها الثقيلة في حركة سريعة وحشية ، وإذا بضوء القمر ينصب فوقه قبة قوية شديدة المطوع . وفتح النافذة دفعة واحدة .

فَلَمَّا انفَرَجَ مُصْرَاعُهَا، وَاجْبَهَ نَسِيمُ الظَّلَيلِ عَلَيْهَا هَفَافًا، وَعَبَرَ الْأَزْهَارَ  
رَقْبَهَا مُنْهَشًا.

وكانَت النافذة من طراز طوبيل ، ينتمي من السقف إلى ما يقرب من الأرض ، فلما وقف يحيوارها يتطلع إلى فضاء الريف في وجوم وحزن ، وجد قاعدهم تبلع إلى ما دون ركبته ..

وكان يستطيع أن يرى في الناحية المقابلة ذلك المعبد الصغير الذي سحر إيماناً وأزعجه كات ..

ولم يكن تبعه من الأغن وقتنى ، كما لم يكن منه منازل أو  
أكواخ أخرى على مرمى مصر ..

لَا شيء سوى تلك المحتقول والأحراش ومدبات الأشجار الباسقة المورقة .

ونعبت بومة من مكان قريب مرقين ، فثار نعيبها كواطن حزنه .  
فكم من مرة وقفت إيماء في هذه البقعة نفسها ، وقد ارتاحت نفسها إلى  
السكون الساجي ، وإلى منظر النلال المنحدرة وشريط الماء الذي ينساق  
أسلل الوادي ..

وتحولت أنظاره في بطيء عن الأفق إلى أرعن الحديقة تحته ..  
كان الفنان الصغير الذي رصفت أرضه بالحجارة المصوولة ، والمؤدي إلى  
الشرفة ، يبدو من هذا الارتفاع الساحيق ، كرفعة شطرونج صغيرة داكنة ذات  
خطوط متوازية قائمة ، تحيط بها أحواض الزهور المختلفة ..

ولاريب أن إيماء كانت ترى هذه الرقعة ، بمثل ما يراها الآن ، آخر  
مارأت ، قبل أن تهوي من حلق ، فتستقر فوقها كومة من الخطام ، لا  
حياة فيها .

وامتلأت أذناه فجأة بطنين هائل غير مألوف ، وانحتمل المنظر أمامه  
لحظة فلم يعد يميز منه شيئاً ..

ولكنه ما لبث أن عاد واضحاً مرة أخرى ، وهو يرتفع مندفعاً نحوه ،  
وشعر بأنه جوي من علو سحيق ، في سرعة خارقة ، والفضاء يدور به حوله  
ورقة الشطرنج تدلُّ منه كقطار ينقض نحوه .

فتشبث بقاعدة النافذة في قوة ، وقد سرت الرعدة في بدنـه ..  
وكأنما أعاده مجلس الخشب الخشن إلى صوابه ، فارتدى إلى الخلف مجفلًا  
بعيداً عن النافذة ، وأخفى عينيه بكلتا يديه وهو يترفع في وسط المجرة  
كالثمل ، وقد هز الرعب كيانه هزاً ..

إذ كان يرى أمامه بعين الخيال (إيماء) وهي تهوي إلى أسفل من الفراغ  
الرهيب إلى عالم الفنان .

فلم يقدر نفسه أخيراً على العودة إلى النافذة ، كان وجهه شديد  
الشحوب ، يذباب العرق البارد فوقه في أخاذيد جديدة ، لم تكن به

من قبل .

ولم يحسر حل التطلع من النافذة مرة أخرى ، فعد بديه وأوصدها ثم أعاد  
الأستار إلى مكانها

فساد الظلام فيها من جديد ، بعد أن احتجج ضوء القمر ، ولم يعد حوله  
 سوى حجرة إليها الخاوية ..

رسوی أربع عطرها الخفيف ..

وكانت جنبات الردهة والبهو تتبعاً بحسب صدى وقع أقدامه فوق الدرج  
المجعري وهو يربطه في عجل كأنما تطارده أشباح رهيبة ..

فلا عاد إلى حجرة الجلوس ماضاً قدماً إلى المعزف فأدار جهاز الإيقاع ،  
وقد سرخ فكره إلى أغنية يتنقق إيقاعها مع دقاته الرقيقة :  
« سيدتي هل لك أن تسيري .. سيدتي هل لك أن تتحدى ، ..  
فمد يده وأسكت الجهاز ..

ثم جلس في الظلام على المهد الصغير أمام المعزف ، وراحت يداه تمران  
على مقاييسه في غير وعي ، عازفة تلك الألسودة الخفيفة ، كما عزفتها أيام في  
تلك الأمسية ، وهي تصلح الموضع التي انخطأت فيها آن في الأسطوانة ،  
وقد بدا في أساريرها الزهو والحنان ..

وسمع وقع نبراتها الرقيقة وهي تقول :  
« لقد أخطأت في هذا الموضع » ..

وكان يعزف الألسودة ، غافلاً عن الزمان والمكان ، مستهترقاً في ذكرياته  
عنها ، وفي الموسيقى التي طالما استمعا إليها مما !

وفجأة انبعث الضوء في الحجرة في مثل وهيض البرق ، يبهر العيون  
ويكشف عن الآثار العتيقة الفاخرة ، وأواقي الزهور الفارفة إلا من بقایا  
جافة ذابلة ..

ففضلت عناء لحظة ، وراحت يداه إلى جانبيه ..

ثم استدار على عجل ا

وادا به برى في باب الحجرة كهلا موخطر بالشيب ، مكتنز الوجه فامي  
اللعينة ، برتدى قبيضا مفتورحا ، ويفق جامدا لامث الانفاس مشدوها ،  
وما ليث ان غضم :

- يا الله ا انه من البشر !

فصاح به مايسكل حانها ،

- من أنت بحق الشيطان !

فأجاب الكليل ، وقد استمد من المفاجأة والفزع قوة :

- هذا ما ينبعي أن أساك عنه .

- لم أكن أحسب أن أحدا هنا ..

فزبح الآخر وقال :

- لا عجب ان حسيت ذلك ، ولذلك ساقبض عليك بتهمة السطو على  
منازل الغير !

فلما فقهه مايسكل ضاحكا ..

أردد الكليل في ورود :

- اعلمك من لحم ودم مثلنا ؟

- هل كنت تتوقع أن ترى شبحا ؟

فلما اقتضي الكليل انت الذي أمامه من البشر ، ارقدت الدماء الى وجهه  
بعد فرارها ، وأجاب :

- ألم تكون تتوقع ذلك لو كنت في مكاني ؟ لقد قضت السيدة تحبها منذ  
أربعة أيام فحسب ، وكانت نهايتها عنيفة مروعة ، وقد سمعتها كثيرةً منذ  
ذلك اليوم ، ولكنها لم تكون تعزف على البيان .

وكان صوته صوت شخص يقرر حقيقة ثابتة

بحيث قال مايسكل في احترام :

- أتعني إنك سمعتها ورأيتها ؟

فأومأ برأه الأشيب وقال :

- إنها لا تدعني أراها قط ، ولكنني أسمع فمكمة أخشاب الدرج ، فسلا  
أجد في نفسي الجرأة على الدخول لرؤيتها !  
وكان صوته يفيض حناناً وهو يقول ذلك  
وما لبث أن تنهى في أنس ، وكأنما استقر عزمه على أمر ، فخطا إلى  
الأمام قائلاً :

- والآن .. هل أنت قادم معي في هذه أم أدعوك رجال البوليس ؟

فأحمد ما يكلل معطفه ورفع قبعته ، ثم مضى نحوه قائلاً :

- هل أنت المكلف بشرورن هذا المنزل ؟

- أني الحارس ، فقل لي هل أخذت من هنا شيئاً لا يخصك ؟

- كلا ..

فلما اطمأن الكهيل وارضى ضميره ، تبع ما يكلل إلى الردهة وهو يقول :

- خذها فصيحة مني ، عندما تسطو على منزل في المرة القادمة فلا تبدأ  
بالعزف على البيان وإنما خرجت صفر اليدين إلى السجن قدماً .

ففهم ما يكلل موافقاً

فلما بلغها الباب الخارجي ، تهل قائلاً :

- هل كنت تعرف السيدة التي كانت تملك هذا المنزل ؟  
فقال ما يكلل :

- أعرقها ؟ لماذا ؟ لقد اشتغلت عندها عشر سنوات ، كنت خلامها الموكلا  
بالعناية بالحدائق ..

- البستاني ؟ كلامي ؟ هل أنت الذي كنت تزف على الأرغن في المعبد ؟

فتططلع إليه مشدوهاً وقال :

- ماذا ؟ هل تعرفني ؟ أصح إلى إذا ، ليس ثمة ما يدعو إلى رفوفنا

هنا في هذا الجو البارد ، لماذا لا تأتي معي إلى حجرتي فتتناول قدحًا من الشاي ؟

فقال مايكيل في اخلاص :  
- ليس أحب إلي من ذلك .

ثم أضاف بعد لحظة :

- لقد فهمت أن مسر هوارد لم تكن تسر بعذلك على الأرغن ..  
فبدا الاشتئاز والنفور في مهيا كلاي وصوته حق خبيل إلى ما يكمل انه  
سوف يتصق اشتئازاً ..

شم قال :

- مزر هوارد؟ مزر هوارد اللي تدس أذفها في شؤون كل شخص، لقد جعلت حياة السيدة المنكودة جعماً لا يطاق ..  
وبدت المرارة في أسارير الكهل المغضنة، عندما تحول بقود مايكيل إلى داخل الردهة فانية ..

ثم إلى درج حجري يؤدي إلى قبو المنزل ، حيث دخلتا حجرة يشع منها  
النور ، وبضواحيها مصباح صغير ..

حيث كان ابريق الشاي موضوعاً فوق المقدّس، والبخار يتتصاعد من فوهته ..

وكان في وسط الحجرة منضدة صفيرة ، تناوله فرقها أوراق اللعب من النوع الذي يتسلى به المرء بمفرده قليلًا لوقت ، وأدوات الشاي المختلفة ،

فقد كان كلاي يعيش في عزلة ..

ولذلك ، كان السرور باديا في وجهه إذ يجد من يجلس معه ورؤس  
وحداته

واستعثت ماريكل على الجلوس وهو يقول :

- يا لها من مأساة مروعة ! وتأمل هذه السيدة الرقيقة !

ثم أردف في هرارة :

- إنني عادة أكون في فراغي في مثل هذه الساعة ؟

فقال مايكيل :

- لو أنني إذا تأخرت قليلاً ، لامتنعت أن أهづ على البيانو في سلام وداع ..

وكان كلاي قد افتتح بأن السطو على المنزل لم يكن سوى مزحة من هذا السيد المذهب ..

فقال :

- بل لو أذكّر أخترت الليلة المناسبة لأمكنتك أن تأتي في الوقت كله كأنك في منزلك دون أن يزعجك أحد ..

- آه .. حقاً ؟

- إنني امتهنني الدراجة إلى منزل أخي دافماً في أيام الجمعة ، حيث أذهب لرؤيتها والبيت عندها .

وكان قد ملأى قدسي الشاي وجلس في مواجهة مايكيل ..

بينما ضحك هذا قائلاً :

- شكرأ على هذه المعلومات الطيبة ، فلو كنت لصاً لأمكنتي أتفيد منها أ

فأو ما كلاي برأسه إيماهة العلم بمواطن الأمور وقال :

- كلا .. إنك لست لصاً ..

ورش مايكيل جرعة من الشاي القوي قبل أن يقول :

- لقد كنت أعرف مسر رأيت . ولذلك أردت أن أقي نظرة على مسرح الحادث .

فطرق كلاي المنضدة بقبضة يده وصاح :

- الحادث ؟ انه لم يكن حادثاً فقط ..

وشعر مايكل بالانفعال يسري في عروقه ، وقال :

- ولكن الحق قال انه كذلك ..

- اصغ الي .. هل يبدو لك انه من المعقول ان تنسف السيدة من نافذة  
طاماً نظرت منها خلال عشرة أعوام برمتها ؟ وهي سيدة في قام صحتها لا  
تخشى الأشباح ، ولا تخاف من المرتفعات ، بعض النظر عما قاله بعض الناس  
في جلسة التحقيق .

وقبل لحظة قبل ان يستطرد :

- إنها شيطان رجم ، تلك المرأة ممزح هوارد ..

فقال مايكل وهو يحرك قدحه في بيته :

- أحبب انك ذكرت تلك السيدة . ولذلك تعتقد أن لها يداً  
في الأمر ..

وعندئذ ذارت ثأرة الكهل .

فانطلق يقول مختبراً :

- لست وحدني الذي يقول ذلك ، ان دوريس الوصيفة ، وكذا الطاهية  
تشار كانفي في اعتقادي ، ان ممزح هوارد لم تكن تترك ممزح رايت في سلام  
قط ، كانت دائماً تشير الشجار ، وتريد أن تقليل ارادتها عليها بشأن ادارة  
المنزل أو تربية الطفلة .. وكانت على الدوام تستفزها وتثير مشاعرها ،  
وهذا هو السبب في أنها اضطررت رغم انفها إلى الرحيل من هنا ..

- اضطررت إلى الرحيل ؟

فقال الكهل :

- لقد أنت لتقيم هنا بعد مصرع زوجها ، ولكنها لم تكث طويلاً ..  
كانت لا تكف عن طلب النقود ، وغيرها من الأشياء النفيضة ، وآخرها  
وقع حادث السجادة .

فَسَأْلَ مَا يَكُلُ :

- وَمَا هُوَ حَادِثُ السُّجَادَةِ ؟

- آه ! لَقِدْ سَرَقْتُمَا ، أَعْنِي مَسْرُورَهُ وَهَارِدَهُ ، وَقَدْ جَعَلْتُ مَسْرُورَهُ رَأْيَتِ  
الْأَمْرِ يَعْدُو كَانَهَا هِيَ الَّتِي وَهَبْتُهَا إِيَّاهَا ، وَلَكِنَّنَا كَنَا نَعْلَمُ الْحَقْيَقَةَ .  
فَذَاتِ صَبَاحٍ ، فِي نَحْوِ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ ، أَتَتْ سِيَارَةُ نَقْلٍ ، فَعَمِلَ سَائِقُهَا  
تَلْكِ السُّجَادَةَ وَمَضَى بِهَا ..

وَقَدْ ذَكَرَ أَنْ مَسْرُورَهُ وَهَارِدَهُ يَاعْتَهَا لِقاءً مُبْلِغَ زَهِيدٍ ، وَكَانَتْ أَحَبُّ السُّجَاجِيدِ  
إِلَى مَسْرُورَهُ ، فَهِيَ وَاحِدَةٌ مِنَ السُّجَاجِيدِ الشَّمِينَةِ الشَّرْقِيَّةِ .  
وَقَدْ أَفْلَقَتْ هَذِهِ الْأَمْرَرِ مَسْرُورَهُ رَأْيَتِ الْمَسْكِينَةِ ، وَهِيَ سَيِّدَةُ اطِيفَةِ  
رَقِيقَةِ الشَّعُورِ ..

فَطَأَطَأَ مَا يَكُلُ رَأْسَهُ وَغَمْمَمَ فِي نَبَرَاتِ مَتَهِيمَةٍ :

- لَقِدْ كَانَتْ كَذَلِكَ سَعْيًا .

وَظَلَلَ يَصْنُعُ طَوِيلًا إِلَى تَرْوِيَةِ الْكَهْلِ بَعْدَ ذَلِكِ ..

وَأَخْبَرَأَ نَهْضَ قَائِلاً :

- يَحْدُرُ بِي أَنْ أَنْصُرَفَ إِلَيْهِ ..

فَتَبَعَهُ كَلَّا يَفْوِي الدَّرَجَ الْمَؤْدِي إِلَى الْمَطْهَىِ وَهُوَ يَتَابِعُ حَدِيثَ  
قَائِلاً :

- نَعَمْ .. رَقَدْ حَارَاتْ أَنْ تَطَرَّدَنِي مِنْ هَذَا زَاغَةَ أَنْهَا لَا تَطْبِقُ عَزْفِيَ عَلَى  
الْأَرْغَنِ ، وَيَهْذِهِ الْمَنَاسِبَةَ ، هَلْ تَحْبُّ الْفَنَاءَ ؟

فَابْتَسَمْ مَا يَكُلُ فِي حَزَنٍ وَقَالَ :

- إِنِّي لَمْ أَغْنَ مِنْذْ ذَمِنْ طَوِيل ..

وَكَانَهَا أَسْفَ الْكَهْلِ لَهُرْمَانَهُ مِنْ رَفِيقِ يَشَاطِرِهِ الْحَدِيثِ ..

فَقَالَ :

- إِنِّي لَا أَجِدُ مِنْ أَنْحَدَثَ إِلَيْهِ إِلَّا عَنْدَمَا أَذْهَبَ إِلَى أَخْفَى فَاقْضِي

الليل عندها

- ربما حضرت إلى هنا ثانية ليلة ، فهل يروقك ذلك ؟

فأشرق وجه كلاي بالبشر وقال :

- أجل .. تعال كلما طاب لك أن تفعل ، ولكن لآلات أيام الجمعة ،  
فنحن نجدهن هنا ..

وأدار نظراته حوليه برهة . متطلعًا إلى حجرات الطابق  
الأعلى ..

ثم هس لمايكل في اهتمام وأسى :

- إذا شئت أن تعرف رأيي ، فهو أن مسر هوارد قد دفعتها  
من النافذة ..

فسخر مايكل بقلبه يخفق في عنف .

ولكن صوته كان هادئاً إذ قال :

- آه ! أنتي واثق من أن ذلك غير صحيح ، فلماذا قدم مسر هوارد  
على شيء كهذا ؟

ف telah عليه كلاي لحظة ، كانت أساريره فيها تتطق بالصرامة والجد ، كما  
كان صوته ينم عن اقتناع عميق وهو يحب في بطنه :

- سأقول لك شيئاً واحداً ، هو أنها خلية بأن تفعل ذلك ؟

فقال مايكل :

- مما يكن من أمر ، فقد ذكرت الوسيفة في التحقيق أن مسر هوارد  
غادرت المنزل قبل الحادث بنصف ساعة ..

فأجاب الكهل :

- لقد قررت دوريس ذلك لتقى ذكري سيدتها شو القيل والقال ..  
وبينما كان يتصرفان ..

قال مايكل :

- حسناً .. أرجو ان تكون خطئنا ، من اجل مسز هوارد ا  
فزيجر كلاي متبرئاً ..  
كان يعرف مسز هوارد جيداً ، ولن يمكنك ان تزعزع يقينه منها قلت له  
او عارضت آرائه فيها ..  
وصعبه ما يكل الي الباب الخارجى في صمت ..  
وهناك لم يزد على أن يقول :  
- طابت ليائلك ..  
- ولبلائلك يا سيدى ..  
وكان ما يكل بهم بادارة محرك سيارته عندما سمع باپ ممثل ايسا يوسف  
خلفه بصوت مسموع ..

## الفصل الثامن

أمر ما يكمل جويس بأفذاخ الشمبانيا ، وأشعل لكات سيجارتها ..  
وكان من يواه يحسبه يشقق حياته ، بعد الأوان ، في المطاعم والمشارب  
وحلقات الرقص من أجلها .

ولكن الوقت لم يكن لينفق عبثا ..  
فقد كانت كات من يغضن في الحديث عن أنفسهن .  
ولا ريب أنها في احدى تلك الأمسيات سوف تدع إسانها يفلت كلمة  
عاشرة يعلم منها مدى ما تعرفه عن موت إيمان ، فقد كانت واثقاً أنها تعرف  
الحقيقة في ذلك ..

وكان كل ما يستند إليه في هذا الشك ، هو عليه بأنها كذبت إذ  
قالت في جلسة التحقيق أن إيماناً كانت مرحة تتطلع إلى عودة زوجها  
في لفترة ..

كذلك تلك الاشارة الخفية وهي تأمر بأن تحيط نفسها عندما سألاها الحق  
هل كان مع والدتها أحد قبل مصرعها ، فذلك يدل على أن شخصاً ما كان  
مع إيماناً ..

فمن هو ؟

وكان قد علم الكثير من كلامي ، وهو رجل لا شك في أمانته وفرط

وفاته وحبه لايها !

ولكن الى اي حد يمكن التعويل على ما قاله في كات هوارد ؟  
ان هذه الاقاويل رغم كل شيء ، لا تعدو أن تكون من فنون الخدم ، كما  
قال المحقق ان كلاي يعتقدها .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان كلاي يعيش في المنزل وعرف كات أعواماً  
طويلة ..

وكان رنة الاقتناع في صوره عندما قال :  
« سوف أقول لك شيئاً واحداً ، هو أنها خلية بأن تفعل ذلك » .  
قد تركت في نفس ما يكمل أثراً جديداً ..

واخذت ينظر اليها وهي تجلس أمامه .. ويتأمل ذلك الوجه البهضاري  
الغض و قد احاطت به حالة من شعرها الفاحم المفاسد تحت قبعة صفيحة انبقة ،  
وذلك الفم الدقيق الأرجواني ، وتلك اليدين البضئتين ، وقد مقللت أظافرها  
وطليت بما يشبه لون الدماء ، وما تمسكان بقدح الشمبانيا ، ورى هل هي حقيقة  
خلية بأن تقتل زوجة أخيها ؟

وكانت عيناها الصغيرتان تبدو فيها دلائل الانتصار وهي تبتسم له عبر  
المائدة فتقول :

ـ أني لا استطيع ان اصف لك صورتي عندما رأيت الجراد الذي  
راهنت عليه يفوز بمعجزة ، فقد كنت في سفلة السباق اليوم ، وهكذا ربحت  
مائتين من الجنينات الجميلة ؟

وكذلك من الملاحظ ان شورون المال كثيراً ما كانت تأتي في احاديثها ،  
وقد قالت له :

ـ اذني دالما متورة الاعصاب ضيقة الصدر ، اذ تأمر اهل زوجي وأهلي  
على أن يدركوني دالما بلا نقود ..  
ـ ولكن زوجك نفسه ؟

فقالت ساخرة :

- آه ! هو ؟ لقد كانت الجامدة الرقيقة الوحيدة التي قام بها نحوه هي أفعى مات شاباً .

\* \* \*

وكان ما يأكل قد التقى بكثيرات من النساء مثيلاتها .. من أولئك اللواتي امتلأت نفوسهن بالأذرة وحب الذات ، واللواتي تسر أسلوبهن المذهبة وثيابهن الثمينة ، تلك النرازع الداخلية التي تدفعهن إلى الحصول على كل ما يريدنه لأنفسهن ..

وهكذا كانت كات ..

فالشخص الوحيد الذي يهم كات هوارد هي كات هوارد .. فهي تحب المتعة لنفسها ، وتحب الفراء والمحلى ، وكل ما تستطيعه من تقويد أن توفره من مظاهر البذخ والرفاهية .

وهي لا تتوρع عن استخدام أية وسيلة في سبيل الحصول عليها ، وطالما تحدثت عن رغبتها في امتلاك مبالغ كبيرة من المال : « حق أجعل من حياتي شيئاً ذات قيمة »

ولم يكتشف قطعاً الذي كانت تريده أن يجعله من حياتها ..

ومع ذلك فكانت تقضي الساعات في مناقشة ما تفعله إذا كانت قلck مليوناً ..

وكان يصفي إليها في حبر وجلد ، وقد فارت شفقتها ، كما كان دائماً حريصاً كل الحرص على أن يطلب لها من الطعام والشراب ما ندر وجوده ، فتفهض بالاعجاب بنوعه لا شيء ، إلا لأنه غالى الثمن .

ولقد ادرك ما يكمل ، في مرارة بالغة ، مدى السهولة التي يستطيع المرء  
بياناً أن ينال نساء مثل كات ..  
فيكفي أن تبدي نحوهن اهتماماً يسيرأ ، حق يحسبن ، وقد أعندهن  
الغرور أنك شفت بهن حبا ..

ومع مزجت الطعام والشمبانيا ما الذين أقدمهما لهن ، بشيء من التملق  
واللديع .. فلا تلبث أن تراهن تحت قدميك ، متجردات من الشباب  
والحب ، مما ..

أما كات فقد تقبلت ملاحظاته ، كظهور طبيعي من مظاهر تقدير محاسنها  
ومفاتنها ..

وإذ وُدت من أعياده ، فقد راحت تتحدث في غير تحيط ..  
وسرعان ما عرف كل شيء عنها ، عدا ذلك الأشياء التي كان يريد  
حقيقة أن يعرفها ..

كانت تفاصي في الحديث عن زوجها ، وعن أسرتها التي لم تكون على وفاق  
معهم - لأنهم كانوا شحبيحين ، يضطرون عليهم بالنقد - وعن مبادرل أصدقائها ،  
ولكنها كانت أقل صراحة فيها يختص بعلاقتها بآيا .  
وقد اغترط لذلك واطئان له ..

فلم يكن التحفظ من صفات كات البارزة ، ولن تتعرّز عن أن تفاصي  
الحديث عن زوج أخيها المتوفى إذا ما شجعها على ذلك .  
ولقد شجعها سهلاً ..

مرة بعد مرة ، كان يدور بالحديث حول إياها ..

ولكن خاب أمره ، فقد كان دافئاً يرى نظرة جامدة منحفظة تلوح  
في عينيها ..

وقد تكون كات منتشية تفاصي بمحبوتها الدافقة وحديبتها الطلي ، ولا  
تلبس أن تهز كتفها في غير اهتمام ..

ثم تجذب إعجابه وجيزة وتحول بالحديث إلى وجهة أخرى بعد أن تسيطر  
على نفسها من جديد .

وكان مايكل جويس يقضي البالي ساهراً مسداً يذرع حجرته ذهاباً  
وجائحة كوحش حبيس ، وهو يفكرون في إيماء ..

إيها التي غدت الآن نسياً ملساً إلا عنده هو ..

وكان لا يفت أستعرض الأمسيات التي قضتها للتوك مع كات ، ريعيد التأمل  
في اللحظات المختلفة التي بدت في أسريرها ، وفي نبرات صوتها كلما كان  
يحررها إلى الحديث عن إيه ..

لقد كان الأمر في كل مرة واحداً لا يتغير ..

ما من لمحه تتم عن العاطفة أو الأسى .. وإنما دافعاً ذلك الجمود وعدم  
الاكتفاء .

ومع ذلك - ودون سند معقول - بدأ مايكل جويس يعتبر كات هوارد  
مسؤولة عن موت المرأة الوحيدة التي أحبها وأحترمها .

فإذا تأيدت شكوكه هذه نهائياً ، فإنه لن يتورع عن قتلها ..  
بل شد ما يسره أن يقتلها ، فقد كانت في نظره حيواناً ضئيلاً شديداً  
الخطورة لا قيمة له في الحياة ..

وإذا ثبت لديه أنها هي التي دمرت إيه فسوف يدمّرها تدميراً ، ويقضي  
عليها كما يقضي على أي حيوان خطير ..  
ولسوف تخبره كات هوارد نفسها يوماً ما بما يريد أن يتحقق منه .

\* \* \*

وقد صبح حديثه ..

وقالت كات شيئاً ذا أهمية بالغة ..  
فجندما التقى في الليلة التالية ، طلبت كات كأسين من الشراب القوي ،  
قائلة إن اعصاها مرهمة ببعض متاحب عائلة ..  
أهتم العناية بآن ..  
وذكرت أنها تلقت خطاباً من أخيها فيليب ، زوج ابها ووالد آن ..  
فأبدى مايكيل قلقه على فيليب قائلة :  
ـ إنني أرثي خاله ، فإن الأمر شاق عليه ، واعتقد أن ابها كانت زوجة  
فاضلة وام رؤوم ..  
ثم انتظر ليسمع ما تقوله كات ردًا على ذلك ، لتقبل به الموضوع  
كمادتها ..  
ولكنها لم تفعل ، بل نظرت إليه من فوق حافة المدح ، في ثابت  
وتسلية ، قائلة :  
ـ لقد كان لا يها عشيق ..  
فارتعى مايكيل ..  
وفارقه هدوء ..  
ثم قال مترضاً :  
ـ آه ، هذا غير صحيح ..  
وظلت كات ترمي في ثابت قائلة :  
ـ أرى أن ذلك يدهشك ؟  
فلم تفته كثرة ملاحظاته العابرة عن إبها ..  
ولم تكن تطبق أن يعتقد أي رجل الطهارة والفضيلة في إبة امرأة  
أخرى ، حق ولو كانت في العالم الآخر ..  
ولذلك .. لم تستطع مقاومة هذه الفرصة السانحة للتقبيل من  
شأن ابها ..

وتعهد مايكيل ان يجز كتفيه في غير مبالغة وهو يسألها :  
- وكيف علمت ؟

فعادت لحة التحفظ إلى عينيها عندما أجبت :  
- لقد أخبرتني بذلك ..

وظل مايكيل جالساً في صمت مطبق برهة طويلاً ، لقد عادت كات إلى الكذب ثانية ..

فلم يكن لا يأبه عشيق قط ، بالمعنى الضيق الذي تعنيه كات بهذه الكلمة ،  
كما أنه ليس من المعتول البة أن تخبرها أيها بشيء عن حاليها العاطفية  
الخاصة ..

وأخيراً قال في بطنه :

- وهل أخبرتك من يكون الرجل ؟

فجربت كأسها ، ثم تناولت أصبع الطلاء الآخر من حقيقتها وراحت  
تصلاح من زينة شفتيها قبل أن تجيب :

- كلا .. وأحسب أنه لا ينبغي أن أخوض في سيرتها بعد أن قضت  
نحبها ، ولكن لعمرك علمت الآن لماذا قلت أنه من الحير ( لأن ) أن تكون  
بعيدة عنها !

- وابن ستقيم آن في المستقبل ؟

- معي ..

فهتف في اشمئزاز :

- معلك ؟

وكانا أحست بما في لمجته لها ، فسألته :

- ما الذي يضايقك في ذلك ؟

فاستعاد اتزانه ومرحه وقال :

- لست استطيع ان اتصورك معنية ب التربية الأطفال !

و كانت ابتسامته تدل على أنه يرى كات من المرح و حب الله بحيث لا يمكن أن و تربط بمحبة منزلية وادعة .

و قد فهمت ما يرمي إليه فقالت :

- لا تكن واثنا من ذلك تماما ، فللي ملأى بغير أثر الأمومة الكامنة .

- هل أنت كذلك حقا ؟

فتضاحكا في غير تكلف ، ثم قالت :

- كلا ..

واستطردت :

- سوف أرسلها إلى مدرسة داخلية بحيث لن تضايقني إلا في عطلة الصيف ..

- أي بعد بضعة شهور عديدة ..

- لا ريب إنك قرأت ما يدور بفكري ..

و أقبل الساق بقذح آخر من الكوكب و ضعه أمامها ..  
بينما قال مايكيل :

- هل وافق والدك أن على هذا الترتيب ؟

- آه .. نعم .. لقد أبرق لي لأعد لها منزلة ؟

فذكرت كات في أن مايكيل يبدو الليلة ثقلا على عادته ..

وقالت :

- لا تكن كثير التدقيق .. لقد فعلت ذلك لارضاء فيليب فحسب ،

إذ ان (آن) أثارت الكثير من المتابعة في الاقامة مع والدتي ، وأراد فيليب

أن تعيش في كنف شخص أصغر من ذلك ، فلم يبق سوى ..

رالمخت في سخرية ..

على حين قال مايكيل :

- لقد فهمت ، ومتى ورحل إلى المدرسة ؟

- يوم الاثنين القادم ، ولكنني أرسلت في احضارها إلى المدينة غداً لشروع  
اسنانها على الطبيب قبل أن ترحل ..

فقال في تفاصيل :

- لست أدرى لماذا تزعجين نفسك إلى هذا الحد في سبيلها ؟

ففهابات السخرية عن فم كات ، وقالت :

- أوه ! إن فيليب يمنعني مبلغًا كبيراً للمناعة بها .. وماذا أفعل ؟  
انتا جيئاً ينبغي لنا أن نعيش ، ولكن ليس من الأفضل أن نغطي لتناول  
العشاء الآن ؟

فغمغم يقول :

- إن آراءك تدعوا إلى الاعجاب .

ولكنه كف عن طرق الموضوع بعد هذا الحد ، إذ بدا التحفظ على  
كات ثانية ..

وغداً من المفترض عليه أن يمضي في سبيله محاذراً حريصاً ، وسوف يكون  
للعشاء ، والشمبانيا ، والمعبارات المسولة التي يصعبها في اذتها ، مما يكفل  
عودتها إلى مرحها العادي ..  
وكان يفعل ذلك مرغماً ..

يا الله ألم يمقت هذا الصوت الناعم الأجوف ، وذلك القناع الرقيق الوضاء  
الذي يكسو وجهها .

ولم تجد كات غباراً في مسلكه أثناء العشاء ..

كان مرغماً ، مثلاً الرجل المهدب ..

ولقد رأتها صديقتها جيني ديفا في المطعم معـاً ، فقالت لها في اليوم  
التالي :

( إن الرجل قد غدا عبداً لك يا عزيزتي ) ..

وهو ما ينبغي أن يكون طبعاً ..

فلا ضغط ما يكل على يدها موعداً أمام فندق اركاديا في ساعة متأخرة  
من تلك الليلة ، قال لها :  
- في أية ساعة تذهب آن إلى طبيب الأسنان غداً ؟  
فأشارت في دهشة باللغة :  
- لماذا تهم بذلك إلى هذا الحد ؟  
- لقد خطر لي أنك ستكونين في فسحة من الوقت ، أثناء زيارة  
لالطبيب ..  
فزحف الابتسام إلى عيلتها في بطء وهي تقول :  
- آه .. وما شأن ذلك ؟  
- إذا كنت خلوا من العمل ساعتين فيتمكن أن نلتقي ..  
- إنها فكرة طيبة ..  
ثم وافقت على أن تقابله في ( سافري ) لتناول الشاي في الساعة الرابعة  
بعد ظهر اليوم التالي ..

## الفصل التاسع

كان ما يكمل عازماً على أن يرى آن وحدها ..  
على حين كانت ذات لا تشک في شيء عندما ضرب لها هذا الموعد  
لتناول الشاي !  
هذا الموعد الذي لم يكن في نيته أن يلبيه قط ..  
بل انتظر في المنزل طوال فترة بعد الظهر حتى سمع رنين جرس الباب  
الخارجي ..

ثم سمع صوت آن في الردهة تقول للوصيفة :  
ـ لقد أخبرتني عتي بأن أحضر لانتظارها هنا عندما انتهي من زيارة  
طبيب الأسنان ، لأنها سلتناول الشاي في مكان آخر ، وستحضر لأندلي من  
هذا بعد ذلك ..  
وسمع ما يكمل الوصيفية تقول آن إلى إحدى حجرات الاستقبال ، وتغلق  
الباب وهي تنصرف .

فأسرع بخط الدرج ويفتح باب المخفرة قائلاً :  
ـ مرحباً بك يا آن ..  
وكانت الفتاة النحيلة ، الطورقة القامة تبدو أنيقة في ثياب المدرسة  
الرمادية ، وعلى ذراعها شارة الحداد السوداء ..

وكانت قد الفت بقبيتها على المنضدة ومضت تقلب صفحات إحدى  
المجلات المchorة

فاستدارت على عجل ، في حركة لا تخلو من الخوف والتوجس ..

وعندئذ لاحظ ما يكمل مدى ما أصاب وجهها الصغير من تحول وشحوب ،  
وبدا عليهم الامتنان عندما تبينت من يكون ، وارتسمت على فمها ابتسامة  
شاحبة وهي تهتف :

- آه .. كيف حالك ؟

- هل تعبت كثيراً عند طبيب الأسنان ؟

- ليس كثيراً ، وقد طلبت مني صديقي كات أن انتظر هنا .. إلا  
يضايقك ذلك ؟

فابتسم في وجهها وقال :

- لقد كنت انتظرك ، هلا جلست يا آن ؟

وادفعطر قلبه ، إذ تبين التغير الذي أصابها منذ رأها لأخر مرة ..  
فلم تكن آن ، نفس الطفلة التي يهدىها وهو يدرك هول الصدمة التي  
أصابتها بموت أمها .

ولكن التغير كان أحق من ذلك ..

كانت الفتاة قد فقدت ثقتها بنفسها ، وغدت تبدو وجهة خائفة مجفل  
لأقل حركة ..

وكانت لا تفتّأ تتألفت حواليها ، كأنما لا تدق بأي شيء ، وتراب في  
كل شيء ..

وهو إذ يذكر تلك الطفلة الصريحة النابضة الجنان ، الرابطة الجأش ،  
التي عهدها مع إيمان ، فلما يضيف حلقة جديدة إلى سلسلة التهم التي سيعاسب  
كات عليهم حساباً عسيراً ، يوماً من الأيام ..

فقد كانت ما أصاب الطفلة نتيجة الفرائز الأمومة المكتوبة في

نفس كات ا

وابتسم لها ما يكفل في جهد لينفال ثقتها ..

وقال في ابتهاج :

- لقد فكرت في أن الوقت قد حان لانتهني قاتية ، ونتبادل بعض الحديث ..

وكانت لا تزال متشككة إذ أجبت :

- عن اي شيء ؟

- عنك . هل انت راضية عن الذهاب إلى مدرسة داخلية ؟

فأجابت في اقتضاب :

- أنت أهلاً بذلك ؟

فأشعل لفافه وراح يدخن لحظة ، قبل أن يسألها عرضاً :

- أتحبين عنك كات ؟

فماهترت أمداها في اضطراب ..

بينما كانت تفرك يديها وهي تحبيب :

- نعم ..

- هل انت على يقين من ذلك ؟

- نعم ..

وتأثرت مشاعره بعلامات الشقاء التي تبدو في وجهها ، وأدرك ان نضالاً هنيئاً يعتمل في قراره نفسها ..

فتتابع حديثه في رقة بالغة :

- ألا تثقين بي يا آن ؟

فلم تستطع مراجعة نظراته ، وحولت انظارها إلى الباب الموصد ، فظلت تنظر إليه طريراً كأنما تنورق إلى الفرار ..

حق اذا ما تبيئت تملئ ذلك ، عادت بأنظارها إليه وهي تتهم في

صعوبة :

- بلى ا

فضحك قاتل :

- ولكن ليس كثيراً ؟

- لست ادري لماذا تلقى على هذه الأسئلة كلها ..

- لأنني أريد ان اساعدك يا آن .. وليس ذلك في وسعي مال  
لتنقى بي ..

فأطبقت شفتيها في عناد بعد ان قالت :

- ألم أقل لك اني اثق بك ؟

وكان صبوراً معها ..

فمضى يقول :

- لقد وقفت بي يوماً من الأيام يا آن ، في امر بالغ الأهمية ..

- ماذا كان ذلك ؟

- حياتك يا آن .. هل قد ذكرت ذلك ؟

وللمرة الأولى واجهته بعينيها الزرقاء ..

فألاج صدره ، إذ رأى الدماء تعود إلى وجهها - وشبح ابتسامها  
القديمة يتسلل إلى شفتيها وهي تغمض :

- نعم ..

- حسناً .. لماذا قلت انه لم يكن مع والدتك أحد عندما رأيتها

آخر مرة ؟

فأجدلت الفتاة بهذه المواجهة ..

وتصلب وجهها ا

ثم قالت في تحديد :

- لأنها لم يكن هناك أحد ..

(٧) الشخصية

- ولكن هذا غير صحيح .. اليه كذلك ؟

فارقعت وصاحت في صوت متهدج أشبه بالموبل :

- آه ! انت لا أدرى ما الذي يريد ان اقوله .

- انت اريد فقط أن تصارحي بالحقيقة ، حتى يلتفت لي أن  
أساعدك .. لقد كانت عنتك كات مع والدتك ، اليه كذلك ؟ أريد أن

تخبريني بكل شيء ..

فاستدارت آن في هبطة واستندت رأسها إلى المقعد ، وانشلت لجفف الدموع  
بفضل روائحها المدرسية ..

وكانت تغمض في ضراعة :

- آوه ! دعني .. أرجوكم أن تذهبني ..

فمضى مابكل نحوها والمحنة فوقها وهو يقول :

- ينبغي أن تدعيني أساعدك يا آن .. ما الذي جرى بين كات ووالدتك  
قبل الحادث ؟

وكان ظهرها يعلو ويحيط في زفرات حارة متتالية وهي تحبيب :

- إنه لم يكن حادثا .. لقد كان كما لو كنت قد دفعتها بيدي  
دفما ..

قصاص مشدودها :

- أنت ؟

وكانت تبكي في مرارة ، وتقول :

- كان ذلك كلها نتيجة خطئي ..

- وكيف يمكن أن يكون كذلك ؟

- لقد كان كذلك ، بل لقد أدركت الآن أنه كذلك ، فقد الخنزت ضد  
والدتي ، واستأت أبالي ما يحدث لي بعد الآن ..

فأحاطتها بذراعيه ، وأضجعها فوق المقعد ، وهو يقول لها في

حنان وردة :

- ما الذي قمته يا آن ؟ هيا .. ينبيغي أن تتنقلي بي وتخبريني ..  
فتعلقت به الفتاة بفتنة ..

وتشبت به وهي ترجمة قائلة :

- انني لا أستطيع . لا أستطيع العادة ..

وكان صوتها خلواً من التمادي والعناد الآن ، وكانت ترتجف هلمعاً من خوف حقيقي عنيف ..

فصال الطلاق :

فیضیت آن :

- لا أستطيع ، لقد جعلتني أعدها بـلا أقول شيئاً ، وقللت انهم  
رسلوني إلى اصلاحية البنات إذا علموا بالحقيقة ..

فصالح في حالة لفرط النسب :

- من التي قالت ذلك ؟ عنتك كان ؟

فاؤمات پر اسما ..

و عندئذ أردف قائلًا :

- لا حق لها في أن تقول مثل هذه الأشياء .. إنها غير صحيحة يا آن ..  
غير صحيحة البتة !

وكان وجهه يغص بالحنق والانفعال ..

ولكنه كان ينماط الفتاة في هذه حق يرجي إليها بالثقة به ..

**ذئالت :**

- لو لم أذهب لرؤيه والدي لما حدث شيء البته .. فقد كان الأمر مزحة ، كما قالت العمة كات ، إلا انهي صدقته والمحزن خد والدي .. و .. و

و كانت الدموع تنساب فوق وجهها في غزارة ..

فقال مايكيل :

- ما الذي حدث يا آن ؟ مخبريني بكل شيء !

فترددت الفتاة ، والفت على نظرة حيرى .

ثم ند عن صدرها تنهى هيق قبل أن تبدأ حديثها في سرعة ، وهي تتعثر فيه ..

كانت مقاومتها قد تحطمـت وشعرت بارتياح عندما الفت نفسها تجـد الفرصة السالحة للتخفيف من عبء الكـتابـان على صدرها ، وتلخص عليهـ أحـدـات ذلك المـلـيـةـ المـروـعـةـ :

- كنت أعب في حجرـي ، ثم ذهبت إلى والـدـيـ لـأـقـيـ عـلـيـهـاـ تـحـيـةـ المـسـاءـ .. وـكـانـتـ هـيـ قـادـرـ علىـ حـيـرـةـ وـالـدـيـ .. وـكـانـتـ بـادـيـةـ الـخـنـقـ والنـفـسـ ..

وـأـنـتـظـرـتـنيـ عـنـدـ قـةـ الـدـرـجـ وـذـكـرـتـ أـنـ لـدـيـاـ شـيـئـاـ قـرـيدـ اـنـ (ـالـولـهـ لـيـ) .. فـجـلـسـنـاـ مـعـاـ عـلـىـ الـأـرـيـكـةـ الـخـشـبـيـةـ بـالـرـدـهـ خـارـجـ الـحـيـرـةـ حـيـثـ بـدـأـتـ هـيـ الـطـبـيـثـ فـقـالتـ :

ـ إـنـ وـالـدـيـ وـوـالـدـيـ سـيـنـفـصـلـانـ عـنـ بـعـضـهـاـ بـالـطـلاقـ ، وـإـنـ ذـلـكـ كـلـهـ بـسـبـبـ خـطـأـ وـالـدـيـ .. وـقـالـتـ أـنـ وـالـدـيـ تـحـبـ رـجـلـ آـخـرـ ، وـاـنـهـ سـتـمـجـرـةـ ، أـيـ وـاـاـ ..

وـمـنـ خـلـالـ عـبـارـاتـ آـنـ الـقصـيـرـةـ ، رـأـيـ مـاـيـكـلـ جـوـسـ اـنـسـامـهـ صـورـةـ وـاضـحةـ لـماـ حـدـثـ ..

صـورـةـ كـاتـ وـهـيـ تـتـحدـثـ إـلـىـ الـظـفـلـةـ فـيـ حـيـةـ ، وـتـصـبـ فـيـ أـذـيـمـ الـوـاعـيـتـيـنـ ، تـلـكـ الـأـكـاذـبـ الـقـاسـيـةـ ..

وـلـأـرـبـ اـنـ إـيـاـ قـدـ فـتـحـتـ بـابـ حـيـرـتـهـاـ فـيـ تـلـكـ اللـعـظـةـ وـرـأـتـ الـاثـنـيـنـ جـالـسـنـاـ مـعـاـ اـ

إذ مضت آن فائلة :

- ثم قالت حني انني ساضطر للذهاب إلى المحكمة والشهادة بأن والدي كانت سيدة الخلق .. وبعد ذلك قالت شيئاً فظيئاً عن والدي ..

وعندئذ طلبت إليها والدي - وكانت قد سمعت ما قالته العمة كات عنها ، ان تصرف وان تكف عن هذه الأقوال .. ثم امررتني والدي أن أمضي معها إلى حجرتها ، ولست أدرى لماذا سلكت هذا المسلك ، ولكن الذي حدث هو انني رفضت الذهاب معها ..

وقد في وسع ما يكل ان يرى الصورة أشد ما تكون جلاء ..  
( ايما ) في عنوان غضبها ، لأول مرة في حياتها وهي تطرد كات خارج المنزل .

ثم تحاول ان تمسك بيدي آن ، لتفودها بعيداً عن سماع هذه الأقوال  
البذيئة ..

فقد كان الأمر في هدوء حتى يوحى إليها بالثقة به ..  
على حين كانت الطفلة وجلة مشدودة ، وقد افزعها ما سمعته .  
واذملها مرأى والدتها وقد استبد بها الغضب بمثل ما لم ترهما عليه قط  
من قبل ، وهي في مكانها متسلقة بكتات ، متغولة عن أمها ، إلى تلك  
العمة ..

وقامت الطفلة :

- وكانت والدي تلوح شديدة الغضب ، فقد قالت حني كات أشياء  
فظيعة عنها ، وكنت ارتعد فزعاً فوقفت بجانب حني ، وعندي بدأت والدي  
تبكي في نشيج مرتفع ، وأسرعت عائدة إلى حجرتها حيث صفت باليها في  
عنف ، فلم أرها بعد ذلك قط .

رأعوات الفتاة وعلا نحيبها ، وهي تستطرد :

- وكان ذلك كله بخطهي ، إذ صدق ما قالته حني ..

ومكذا تبين لما يكل المحقيقة أخيراً ..  
ولكن على رغم عله الآن بخلق كات « فإنه ظل في دهشة من اسفافها  
وامحراف عقليتها وقصوة قلبها إلى هذا الحد ..

فقد اكتشفت ان إيماء تقابل أحد الرجال ، فعللت ذلك بما يتفق مع  
طبيعتها هي ..

وانتهزت الفرصة للحصول على بعض المال ..  
وكانت تحاول ابتزاز المال من إيماء بالتهديد في سجورتها ، فرفضت إيماء  
أن تصفي اليها !

ولكن كات بخبيثها ونذالتها استخدمت السلاح الذي تعرف أنه يصيب إيماء  
بأشد الألم ..

فراحـت تسبـب أكاذيبـها في أذنـي الطفـة حـق سـمعـت اـفـكارـها ، وجعلـتها  
تنـفرـ منـ اـمـهـا !

وبذلك قـتـلتـ الحـبـ والـثـقةـ المـتـبـادـلـيـنـ بيـنـهاـ ..

فـلـماـ رـأـتـ إـيمـاءـ إـشـارـةـ انـ ، وـتـحـوـلـهاـ عـنـهاـ فيـ نـفـورـ ، وـانـهـيـازـهاـ إـلـىـ جـسـانـهـاـ ، شـعـرـتـ بـأـنـهـاـ فـقـدـتـ اـبـنـتـهاـ إـلـىـ غـيرـ رـجـعـةـ ، فـعادـتـ إـلـىـ سـجـورـهاـ كـسـيـرةـ  
الـقـلـبـ ، مـحـظـمةـ الـفـوـادـ ..

وـيـعـدـ ؟

وـسـأـلـ انـ :

ـ ماـ الـذـيـ حدـثـ بـعـدـ ذـلـكـ ؟

ـ قـالـتـ وـالـدـيـ انـ عـقـيـ قدـ اـتـلـفـتـ كـلـ ماـ اـسـطـسـاعـتـ اـتـلاقـهـ ، وـلـكـنـيـ  
كـنـتـ أـنـ المـذـبـحةـ حـقـاـ ، لـأـنـيـ صـدـقـتـهاـ .

فـقـاطـعـهاـ فـيـ عـجـةـ :

ـ وـلـكـنـ ماـذـاـ حدـثـ بـعـدـ ذـلـكـ ؟

ـ فـبـذـلتـ آنـ جـهـداـ عـظـيـماـ لـتـسـتـعـيدـ سـكـونـهاـ ، وـلـتـمـنـعـ الـارـتعـادـ عنـ

شقيها الشاحبتين ..

وكان تهم بالكلام عندما فتح الباب بفتحة دفعة واحدة ..

وكانت كات تدخل الحجرة ..

فأسرعت آن تزلق من مقعدها ، وتهرب إلى الركن الآخر من الحجرة ،  
 حيث تتمهل في قلق وهي تحارب أن تخفي عن العيان ..  
 ولكن كات لم تضع لحظة واحدة في النظر إليها ، وإنما مضت نحو ما يكمل  
 رأساً وقالت :

- ما الذي أصابك بحق النساء ؟

ولو لم تكون قد أعمتها الانفعال لتبيّنت في أسراره ذلك الحقد البالغ وهو  
 يحب ببرود :

- يؤسفني أنني لم أستطع الحضور ..

- هكذا أرى .. ولكن أين كنت ؟

- لقد احتجزلي عمل هام ..

- حسناً .. ألم يكن في وسعك أن تتصل بي تليفونياً ؟ لقد ظلت  
 انتظرك ساعة كاملة ..

واشتد حنقها إذ رأى يحدق النظر إليها في برود ونفور عجيبين ،  
 فصاحت مستطردة :

- لست أدرى من تحسب نفسك ، إنني لم اعتد دفع ثمن الشاي الذي  
 أتناوله من قبل ..

وعندئذ سرر على شقيه طيف إنسامة ..

فهي في دهشتها البالغة ، وحنقها العظيم لتركها تنتظر عيناً بواسطة أشد  
 المعجبين بها حماسة ، لم تلمس الحقيقة الدامغة ، وهي أنها قد خسرت في ذلك  
 بعض النقود ..

ومن ثم مد يده فأنحرج حافظة نقوده ..

وفي قمة غير مألوفة أو معهودة ، مد يده نحوها بورقة مالية وهو يقول :

ـ إن ذلك لما يسمى تدبيره ..

وظل برمه يعتقد أنها سوف تصفعه على وجهه ، إذ كانت هيئتها الضيقتان الحبيستان تذعن سماً نافعاً ، وهي تحجبه بذكريات نارية ..

ولكن شيئاً في أساريره الصارمة أو قفها ، فاكتفت بانتهت من فرط الغضب :

ـ أهلاً هكذا ؟

ثم استدارت محنكة وهنت :

ـ هيا بنا يا ابن ا

ولكنزت الطفلة في ظهرها بقرة وهي تدفعها أمامها خارج المجرة ..

## الفصل العاشر

لم يكن علم ما يكمل بالحقيقة من أمر موت إيمانها ليبعث الراحة إلى نفسه وقلبه ..

فظلت قصة ان الأليمة تدوي في اذنيه ، كما راحت تعذب ذكري وجهها وقد ارتسست عليه علام الذعر والهلع ، بل ذكري وجهها هي وإنما ، يوم ان كان يلوح عليها البشر والدعة ، قبل ان تصل كات هوارد عملها .. ولقد ماتت إيمانا الآن ..

وغردت طفاتها التي كانت تحبها وضحت في سبيلاها بسعادة ( وسعادة ) مخلوقة صغيرة منطوية على نفسها ، منكودة الطالع ، دون حمامة أو سند ، تسير في طريقها نحو الجنون او انهيار الأعصاب .. أما ذات ..

ذات التي دمرتها كلية .. فهناها تضي في طريقها وادعة ناعمة البال ، لا يضايقها أحد ، ولا يقلقها أسف او رغاء ..

بل لقد خرجت من هذه الكارثة ، التي كانت سببا فيها راحبة ذاتية ، فهناك ذلك المرتب الذي خصص لها أخوها - زوج إيمانا - لعناته بأمر ان والإنفاق عليها ..

بل ليس مع الان عبارة ذات الفلسفية التقليدية :

( ينبع في لنا ان نعيش ) ..  
 وتصلب وجه ما يكمل .. فإن إيمانها - مع ذلك - قد حرمت حق العيش ..  
 وأمتدت يداه في غير وعي إلى المعزف ..  
 فانطلق بعض ما يعتدل في نفسه من حقد مرير وغضب، متأجج ، انفاماً كفضف الرعد حيناً ، وكالأنين حيناً آخر ..  
 ولكن ، منها كانت محاولته ، فإنه لم يستطع أن يوصي عقله دون تلك الفكرة التي راحت تطرق تفكيره طرقاً عنيفاً متتابعاً .  
 كان يفكر في أن يقتل كات هوارد ..  
 لقد أبعدت آن عن أمها بالتشويه الحقائق في نذالة بالغة !  
 وبهذا السلاح الفتاك ..  
 سلاح الغدر والوقيعة .  
 قتلت إيمان ، كما لو أنها قد فتكبت بها بيدها ..  
 بل انه ليس واثقاً كل الثقة من أنها لم تستخدم يديها حسناً ، ومع ذلك فإن التفاصيل لا تهمه الآن ، وكفاء ما يعرفه !  
 وهو يود من صميم فؤاده ، أن تظل كات بعيداً عن طريقه ، من أجل سلامتها وأمنها .  
 ولو رأها ، لما استطاع أن يبقى يديه بعيداً عنها ..  
 إن مسر هوارد لم تشعر بشيء من الألم حق الآن ..  
 ولكنها عندما تقع بين يديه ، ويظل يضطرط حل عنقها ليستل الحياة منها فسوف تشعر وتحس بما قدمت يداها ..  
 سوف يجعلها تذوق الألم كوسماً مترعة ، كما أذاقت لإيمان ..  
 وعندئذ أخذته رعدة قوية ..  
 لما ينبع في أن يفكر في شيء كهذا ..

وراح يعزف أنسودة إليها وان الحقيقة :  
( سيدتي .. هل لك أن تسيري ) ١

ولكن وجه كات بدا أمامه منعكساً على صحفة المزف السوداء المصوّلة  
يبلسم في وجهه ابتسامة أقرب إلى السخرية منها إلى التلطف ..  
فمضى يعزف في حاسن واستفراغ ، ليبعد شبعها عن تفكيره ، وراح  
يشتغل في يأس وأسى لا يراها قط بعد الآن ..  
لسمله ينبع في القضاء على نزعة الانتقام الجنونية التي تخالجه في قوة  
وحدة ..

وسوف يفعل الزمن فعله ..  
فبلسي كات ..  
ولا يذكر بعده غير إليها ..  
إليها الطاهرة الطيبة ١

\* \* \*

ونفذ إلى سمعه ، خلال الموسيقى ، رنين جرس بدوي في أرجاء المنزل .  
وكان يبدو أنه يدق منذ برهة طوية ..  
فتوقف عن العزف .. وكان السكون شاملًا في المنزل ، إذ كان الخدم قد  
أدوا إلى فراشهم .

وسمع رنين الجرس ثانية ..  
وكان جرس الباب الخارجي .

فأواثت إليه غريرة المهنة باعساه أن يكون .. لا ريب ان حادثاً قد  
وقع ، وإن أحداً في حاجة إلى طبيب فمضى يحيط الدرج حل عجل ويفتح

الباب الخارجي ..

وإذا بكت راقفة أمامه ..

وظل برهة لا يكاد يصدق ظهره ، بينما تحول في غير وعي يسد عليهما  
سبيل الدخول .

فسمعتها تقول في اتفاق لامته :

ـ أرجو أن تدعني أدخل يا مايكـل ، إني أود أن أتحدث إليك ..

فقال في بروـد :

ـ إن الوقت متـاخر الآن ...

فقالـت مـسـرـ هـوارـد :

ـ لن يستـغرـق ذلك وقتا طـويـلا ..

ثم شـفـتـ طـرـيقـهاـ إـلـىـ الرـدـهـاـ

فـقـالـ لهاـ :

ـ ما الذي تـريـدينـ قـولـهـ ؟

وـجـعـلـهاـ صـوـتـهـ تـأـنـفـتـ نـحـوهـ فـيـ عـجـلةـ ،ـ قـبـلـ أـنـ تـقـولـ :

ـ ولـكـنـناـ لـاـ نـسـطـبـعـ أـنـ تـتـحدـثـ هـنـا ..

وـأـسـرـعـتـ تـجـتـازـ الرـدـهـاـ وـوـقـيـ الـدـرـجـ ..

وـإـذـ كـانـ يـتـبعـهاـ ،ـ اـسـتـقـرـتـ نـظـرـاهـ عـلـىـ عـنـقـهاـ النـاصـعـ الـبـيـاضـ تـحـتـ جـدـائـلـهاـ  
الـسـوـدـاءـ الـفـاحـحةـ

ياـهـ ،ـ مـاـ أـسـهـلـ أـنـ يـنـزـعـ الـحـيـاةـ مـنـهـ لـلـتوـ وـالـمـحـظـةـ .

ـ بـلـ أـنـ يـدـيهـ لـتـقـاصـانـ ،ـ وـأـصـابـعـهـ لـتـشـفـيـ كـأـنـاـ وـيـدـ أـنـ تـطـبـقـ عـلـىـ هـذـاـ  
الـعـنـقـ الـخـتـالـ

ـ وـعـنـدـئـذـ ،ـ اـطـبـقـ كـلـنـسـاـ يـدـيهـ عـلـىـ سـيـاجـ الـدـرـجـ ،ـ وـهـوـ يـرـجـفـ مـنـ هـولـ  
مـنـ هـولـ الرـغـبةـ الـقـيـ اـسـتـبـدـتـ بـهـ ،ـ وـمـنـ الـجـهـدـ الـذـيـ يـيـذـلـهـ لـكـبـتـ هـذـهـ  
الـرـغـبةـ وـسـعـتـهـاـ

وكان هوارد يخلع معطف المرأة الذي ورثيه ، عندما ولج قاعة الاستقبال ..

فتحولت نحوه في الحال ، ورفعت اليه وجهها في ضراعة وهي تقول له :

— لقد أدركت أنك كنت حقاً إذ غضبت مني بعد الظهر ، فلا ريب أنك كنت منكبياً على العمل ، ولم تكن لك حيلة في الأمر ..  
وانتظرت لحظة وهي تتوقع أن ورث ابتسامته وتسمع اعتذاره ، ولكنها بدلاً من ذلك سمعت يقول في خشونة :

— هل هذا ما قدمت شخصياً لي قوله ؟

وفي وحشية غريبة أردف :

— حسناً .. لقد قلته الآن ، طابت لي يمينك ..

فقالت كات نفسها :

— يا إلهي إنه متصرف المزاج البليء ..

ومع ذلك ، فإن هذه الحالة التي تجمل ما يكلل صعب الحال ، أثارت في نفسها رغبة الانتصار والغزو ..

فاستطردت تقول في لين :

— ألا زلت غاضباً مني ؟ أرجو ألا تكون كذلك ..

ثم مدت اليه يدها البضة ..

ثم أردفت :

— دعنا ننسى كل ما حدت ونعود أصدقاء فانية أ

فأولاًها ظهره ..

ولكن ذلك لم يفت من عصدها ، ورأت من البراعة ألا تدع لكيديها سبيلاً الآن ..

وغمغمت يقول :

- أني لا أريد أن أراك بعد ذلك يا كات !  
يا الله !

ألا تفهم الحقيقة فتشعر وتدعه قبل أن يفوت الأوان ؟

وكان نبرات صوتها متهدجة وهي تتقول معاقبة :

- أواه يا ما يكل ! من أجل شيء ظافر كهذا ؟  
ولم يكن ينظر إليها ..

ومع ذلك ، فقد أدرك أنها تتمثل في براعة ، فقال :

- كلا .. فليس لذلك شأن بالأمر ..

- ولكن ليس ثمة مما يدعو إلى معاقبتنا كلبنا لا شيء سوى أنه  
غاضب مني ..

فأجاب الطبيب :

- هل زرين أنني أعقاب كلبنا ؟

فتحيرت كات .. وبعثت النظرة الحادة الثاقبة التي حدّجها بها ،  
الرعدة في أوصالها ..

كان وجهه حارماً شديد الشحوب ، وكان بيده برجف بشكل على نحو  
لم تره من قبل ..

ترى ، ماذا عهاء بحق السهام ؟

وأمنت التفكير بوجهه ، وإذا يضوء الفهم ينشق أسمام ناظريها ،  
فقالت في زهرة :

- ما يكل ! أراك عزيز انقطع صلتك بي لأنك رجل متزوج ؟

فلما فهم غرضها ، كاد ينفجر ضاحكا ..

يا الله ما أشد غباءها ؟

إن زهرها الأعنى لاحد له !

ونابت حديثها :

- قد يكون ذلك منتهى الشهامة ، ولكن أود ان تعرف اني لا أبالي  
بمثل هذه الاعتبارات !

وبدت منه وازدادت به التصاقاً حتى كادت رأسها تلامس كتفه ، بينما  
وضعت يدها فوق ذراعه وهي تستطرد :

- اني لا أبالي بما يقول الناس او يظنهون ..

وتصلب بذاته للامستها ..

وما ليث أن استدار وواجهها .

كانت شديدة الالتصاق به ، بمحبته لا يمكنه أن يتبعها ، فقد كانت  
يدها متلقيتين بسترتها وهي تهمس :

- ما يعكل ! الا تدرك ما احاول ان اخبرك به ؟ اني اريد أن أبقى  
معك ، منها كانت الظروف ..

وظل برهة طولية يتفرس فيها دارساً متفحصاً ..

فرأى شفتيها الأرجوانيتين تنفرجان ، كأنما تدعواه في رغبة  
واشتئام ..

كما رأى عينيها تتألقان تحت أهدابها الطويلة السوداء ..  
وسري الاشتهار في بذنه ..

لكنه قال :

- أتريددين ذلك حقاً يا كات !

فتنهدت في حرارة وهست :

- دائمًا ، وإلى الأبد يا عزيزي ..

فأحس فجأة بارتباح عميق ، لقد استطاعت كات أو توحى اليه  
بال فكرة التي كان ينشدتها .

استطاعت أن يجعله يستقر على رأي حاسم ..

وعندئذ فارقه انفعاله ، وعادت له السكينة والمدحه ..

فلسوف يقتلمها ..  
غير انه سوف يختار الوقت الملائم لفتحك لها ..  
وعندئذ قال :  
- سبكون لك ما تثنين يا كات !  
ولم تسمعه يخاطبها بمثل هذه الرقة من قبل .  
وأحاطت ذراعاً كات بعنقه في قرة ..  
بيت المحنى فوقها وقبلها ..

## الفصل الحادي عشر

راح جويس يدبر في هدوء شامل وسيلة تنفيذ ذكره الانتقام التي  
سيطرت على عقله ومشاعره هذه المدة الطويلة ..  
وكان شديد العناية بخطته في أدق تفاصيلها ..  
وقد رتب الأمر مع مساعديه ، بحيث يتولى الإشراف على المستشفى  
والعناية بالمرضى .. بعد أن أعلن أنه سيرحل بعض الوقت في اجازة  
قصيرة ..  
وقد رحبت مزر هوارد باقتراحه أن يمضي معه بعيداً ، لفترة  
من الزمن ..  
وكانت في تلك الأيام تتغير حيوية ، فتفيض بالبشر والسرور ، فقد كان  
ولها بالأمرار والخفايا الخامضة شريان الحياة بالنسبة لها ، وكان في ما يكمل  
شيء غامض يثير انفعالها وفضولها ..  
فهي لا تعلم فيما كان يفكّر خلال فترات الصمت الطويلة ، عندما  
يكتابه ذلك الوجوم ويظل شارد الفكر ساعها ..  
وشعرت بأنه يكتم شيئاً غريباً غامضاً ، فدرلت على أن تكتشف  
جليّة الأمر ..  
أما ما يكمل فلم يكن يحس بوجودها ، أو يشعر بقريها منه ، كان يراها

كثيراً، ولكنها لم تعد تضاهي الآن ، فقد انصرف فكره بأكمله إلى الخطة  
التي كان يديرها !  
وزار المستشفى لفترة الأخيرة ..

وكانت أدواته الطبية ، ومعدات المراحة الخاصة به قد وضعت حلقائياً  
في سيارته !

فصافح الأطباء والممرضات مودعا ، بينما كانوا يتمسكون له إجازة  
طيبة ، ولم يبق أمامه سوى عمل واحد قبل أن يبدأ مغامرته مع  
كاث هوارد !

وكان ذلك ملا عادياً ذا طبيعة دراسية .

\* \* \*

وفي قاعة المحاضرات ، كان صوت المحاضر ينبعث شيئاً فشيئاً ، وما لبث  
أن نظر إلى ساعة معمصه .

ثم دس يده في جيبه ، وخطسا فوق النصة خطرة أو اثنين في  
بطء وتمهل ..

وكان الطلبة يجلسون مشدرين في سكون ، كان على رؤوسهم الطير ،  
فتعلقت أنظارهم به ..

على حين جذبت الفتاة التي حضرت منآخرة نسأ عبيداً وهي تقول  
في نفسها :

( يا له من محاضر ! يا له من استاذ بارع في التحليل النفسي ! انه يتكلّم  
عن ثقة وثقة ، ويفيض بالشرح في التحليل النفسي أبطال هذه القضية تحليلاً  
دقيقاً ، يخبل معه إلى المره انه يفهم معرفة وثيقة ) ..

ومضى المخاضر يتابع حديثه وهو يردد عبارته الأخيرة :  
- كان ذلك عملاً عادياً ذات طبيعة دراسية .. وبينما كان فائضاً  
بادئه ، راح عده يستعرض التفاصيل الدقيقة لراحل تنفيذ هذه  
الجريمة ..

ثم تهل من جديد ..

فقالت لافتة في نفسها :

( انه لم يعد طلقاً للسان ، كما كان من قبل .. بل انه ليبدو كأنما  
يبحث عن الألفاظ وينتسبها انتقاماً .. اهواه ادركه الكلل بعد أن ظل يتحدث  
أكثر من ساعة بلا انقطاع ؟ )

\* \* \*

وعاد يقول :

- فلم يجد في تدبيره ثغرة واحدة ، وكأنما اصطدمت الظروف جميعاً  
على تيسير الأمور له ، فلما فرغ من عمله ، قابلته كات موارد في المكان  
الذي قواعداً على اللقاء فيه ..

وكان الظلام قد أردى سدوله عندما انطلقت بيه السيارة تجتاز شوارع  
لندن ، في طريقها نحو الريف ..

واستغرقت رحلتها نحو ساعة ، كانت موارد خلامساً بأذبة المرح ، لا  
تكتف عن الكلام كعادتها .. ولم تكن تعرف شيئاً عن وجهتها ، حتى بلغا  
منزل ( إليها ) !

فقال انه يريد أن يراه ، ما دام معرضها للبيع ، فتقبلت هذا الطلب  
دون اعتراض ..

وكان يعلم أن أحداً لن يلبي نداء الجرس الذي راح يقرعه طويلاً، فهو  
يعلم أن كلامي المخادع، يعني ليه الجمدة عند أخته، ومن ثم فلم يكن عابِكل  
يُخشى أن يضايقه بوجوده ..

وكانَت النافذة المغاربة للباب الرئيسي لا تزال محطمة الزجاج كارها،  
فأقمعَت بتسليتها، حيث تبعته إلى حجرة إيمان بالطابق العلوي ..  
ومضى إلى نافذة الحجرة ..  
وجذب الأستار عنها .

وفي هدوء قاتم، أخبرها بأنه هو الرجل الذي كانت إيمان تحبه، وأنه يعلم  
بأنها مسؤولة عن مصرع إيمان .  
وتكلّكتها النحر ..

ولكنها كانت عاجزة أمامه ..  
وعند ذلك أخبرها بأنها سوف تموت بنفس الطريقة التي مالت بها إيمان،  
ثم أمرها بأن تلقي بنفسها من النافذة ..

بل كأنها مثل الفزع حواسها ..  
فلم تستطع الحراك ..  
فقاومته ببرهة .  
بدأت تصفيح مستفيضة ..

ولكن لم يكن ثمة أحد من البشر على بعد ميل من المكان، ولم يكن ثمة  
أمل في أن يلبي أحد استغاثتها .

وأخيراً مضت كات إلى حتفها، وهروت في الفضاء إلى القناء المجري  
أسفل النافذة، حيث استقرت جثة هامدة محطمة، كما استقرت إيمان يوماً  
من الأيام ..

وكان من الالتصاف أن ثُوت كات بالطربولة نفسها ..

وهكذا حق عليها القصاص ..

وأخذت المدالة ببراءها !

وقيل المحاضر قليلاً ، وقد بدا عليه الاعباء فجأة كأنما انهكت القصة  
الطويلة قواه !

وما لبث أن ختم محاضرته قائلاً :

- وكانت هذه جريمة قتل ارتكببت بواسطة شخص سليم العقلية ،  
ونفذت في براعة دون أن يعتورها نقص أو خطأ ..  
ونظر إلى ساحة محضسه ..

ثم أردف :

- أخشى أن أكون قد استغرقت في صرد هذه القصة وقتاً  
طويلاً أكثر مما ينبغي .. ولذلك سوف ترجى المناقشة العامة في موضوعها  
إلى المرة القادمة !

ثم اولادم ظهره ..

إيذاناً بالانصراف !

ومضى إلى المنضدة فعلاً لنفسه قدحًا من الماء .  
بينما كان الطلبة يطونون مذكراهم وكتبيهم ، ويعمون بمقادرة القاعة وقد  
وقف معظمهم قريباً من الباب .

رضي السكوت بفترة ، عندما انبعث صوت من مؤخر القاعة يقول  
للمحاضر :

- هل لي أن أسألك سؤالاً يا سيدى ؟  
فتتحولت الرؤوس جميعاً نحو ذلك الشاب الجرىء ، الذي فاء بهذه  
العبارة ..

على حين رشف المحاضر جرعة من الماء ، وعاد إلى مقدمة المنصة  
والقدح في يده ..

قال :

- نعم ..

فأجاب الشاب :

- أظن أن أحداً لم يشك في القاتل فقط ؟

فأجاب المحاضر :

- كلا .. فلم يجد البوليس دليلاً أو قرينة تدل على شيء سوى الانتحار ..

ومضى الطالب قائلاً :

- ومع ذلك ، فلا ريب أنه كسائر المصابين يحنون العظمة ، قد أخبر أحداً بما فعل ..

فأجفل المحاضر قليلاً ..

وقطع حاجبيه أ

ثم قال في خدة :

- معدرة .. فلم أفهم غرضك تماماً ؟

- لعله هو الذي أخبرك بذلك .

فلاحت على شفتي المحاضر ابتسامة خبيثة ، واجاب :

- نعم ، فقد كان أحد مرضى ..

- في مستشفى للمجانين !

- كلا ، كان سليم العقل تماماً ، كان لا يقل سلاماً ..

ثم أضاف في شيء من التوكيد :

- هني أنا ..

وساد الصمت ببرهة كان الطالب خلاتها يبدل قدميه في ارتباك ، تحت نظرات المحاضر الشاقبة ، وقد خيبل له انه لم يحسن القول ..

وأخيراً قال ممتنداً :

— ارجو ألا تكون قد اخطأت بسؤالي هذا !  
وكان صوت المعاشر طبيعيا وهو يجيب :  
— كلا الفتة .. بل لقد كان سؤالاً طبيعيا .  
وغادر الطلبة قاعة المعاشرات ..

بينما جمع المعاصر كتبه وقبعته رفقاء في عجمة ، وامسرع إلى سبارته المستقرة في فناء الكلمة !

فلم يبق أمامه إلا التلليل من الوقت الآن .

فقد كان المعاصر ..

ما بکل جویس نفسه ..

و كانت قصته لم تتم بعد فصولها

## الفصل الثاني عشر

فادر ما يكمل جوبيس سيارته على مقربة من فندق اركاديا ، وراح يدخن  
لهاقة وهو ينتظر قدوم كات ..

ولاريب أنها ستتأخر عن الموعد ، كعادتها ..  
فإنها تحب أن تدع الرجال طويلاً في انتظارها ، ظناً منها بأن ذلك يزيد  
من قدرها ومكانتها ..  
ولكن لا بأس !

فقد أدخل تأخيرها في حسابه ، عندما حدد مراحل خطته .  
وعاد يستعرض دقائق تلك الخطة ، حتى افتتنع بأنه لم يفعل شيئاً ، أو  
اويندع شيئاً لظروف الطارئة .  
وأدت كات مسرعة ، بعد عشرين دقيقة من موعدها .

فقالت مبتسمة :

ـ هل انتظرتني طويلاً ؟

ودون ان يعيها بالردد عليها ، فتح لها باب السيارة ، وتناول حلبة ثيابها  
فوضعتها في القسم الخلفي .

ثم جلس أمام عجلة القيادة ، يحوارها ..  
وطللت انتظاره متجمدة أمامه وهو يتلوذ السيارة ، ولكن كان متتبها

لكل حركة تأنيها وهي تجلس في مكانها يجانبه ، إذ كانت حواسه شديدة التحفز والانتباه هذا المساء .

وكان شعرها قد عقص في افaque تحت الشمعة الحريرية التي تربطها فوق رأسها ، كما كان وجهها مصوّلاً بعمر الطلاّب ، وأظافرها تتألق بلونها الأرجواني البراق ، حتى لقد ذكر ما يكمل في أنها قد قضت يوماً بأسره في صالون التجميل !

بينما التفت في معطف من الفراء فوق ثوب جديده أنيق ..  
وكانت تنبض منها رائحة عطرية ثقيلة ، نفرت منها نفسه ، ولكنها لا يستطيع أن يلومها ، إذ كانت لا تعرف كيف تختار أو تستخدم الروائح العطرية ..

ونظرت كات هوارد إلى حقيقتها في مؤخرة السيارة .

ثم سالت :

- لست أدرى إلى أين تحن ذاهبان ، ولكنني اعتزم أن أوطن نفسي على الراحة في أي مكان نذهب إليه .  
- سوف ترثحين حقاً ..

فضفخت بيدها طربها ، وصاحت كأنها طفلة صغيرة :  
- آه .. هي مفاجأة إذا ؟

وراحت تتأمل الشوارع المزدحمة ، والحوانيت المتلائمة بالضياء ، بينما كان يضيّان في طريقها قدمها ، وقد تملّكتها شعور من الانفعال والسرور ..  
إن هذه الرحلة مع ما يكمل سوف تكون مسلية إلى حد بعيد ، ولكن ترى أي فندق اختاره لنزولها ؟

إنها لترجو إلا يكون اختياره قد وقع على أحد تلك الفنادق الريفية القديمة ، ذات الأثاث الأخرى العتيق ؟

فقد كان يصعبها إلى أفحى المطاعم وأعظم الملاهي حتى الآن ، ولكن

بعض المحبين ، مقى غادروا لندن ، تهفو نفوسهم إلى الفنادق العتيقة ، إنما  
تعرف ذلك من تجاريها المروعة السابقة .

ووجأة صاحت به مجفة :

- لقد اخترقت إشارة المرور الحمراء ..

فأجاها في صوت أبجوف :

- هل فعلت ذلك حقا؟

فنظرت إليه في عجب ..

لقد كان يقود السيارة في سرعة خارقة ، وكان يبدو كأن حواسه قد  
تركزت أمامه في الطريق ..

ومع ذلك فلم يكن من عادته أن يحتاز إشارة المرور الحمراء ..  
وكانت أسريره بحالة صارمة .. ديلوح مستغرقاً في أفكاره  
ونحواطره ..

ولكنها ابتسمت لنفسها ..

ثم دنت منه حتى لامست ذراعها ذراعه .

واندفعت السيارة تشق سبيلها في الطريق الزراعية ..

وكان منظر الحقول المتشابهة وحركة المركب الريبي ، قد جعلت هوارد  
تشعر بالنهاش ..

وبعد لحظة راحت تمشط شعرها الذي عبث به الهواء .

فلما فرغت من ذلك مضت تصلح من طلاء وجهها وشفتيها ، وما لبثت  
أن قالت في مرح :

- هل تفتق النساء اللواتي يصلمن زينتهن في الطريق؟

- إنني لم أفكّر في ذلك من قبل ..

- لقد رحّيت إلى أن أفتح موضوعاً للحديث ، ولكن لعلك تفضل أن  
وتتحدث عن نفسك ، فإذا كان موعدك هذا المساء؟

- كنت القى محاضرة في علم النفس الجنائى .

ـ حسناً ، ماذا كان حديثك في هذا الموضوع ؟

فَاجِبٌ فِي بَطْرَءٍ :

- لقد حدثتهم بقصة رجل قتل امرأة بغيرهن الانتقام ..

- لا ریب انه کان مجذوناً ..

- كلا .. أقد كان محتفظاً بقواه العقلية كاملة ..

- هراء ا فارلنك الناس الذين يأتون اعمالاً عنيفة ، يكون لديهم الحرف من نوع ما ، منها بدوا طبيعين عاديين ، انظر إلى أيها مثلًا ..

۱۰

• 1

و كانت الكلمة قد اندفعت من بين شفتيه كالقذيفة دون أن يشعر ، فذكرى قائلة :

- نعم .. زوج أخري ..

وبدأت يداه ترتجفان عندما سمع أحدهما، ولكنه شدد القبض على عجلة القيادة.

وجهد في ان يجد صوته طبيعياً وهو يقول :

- وما علاقتها بهذا المرض؟

- حسناً .. لا ريب أن قد أصابها الجنون حتى قردم على عمل مروع كالاتهماز .. كانت تبدو سليمة العقل ، ولكن عندما بلغ الأمر حد الأزمة ..

فیصلہ فائزہ :

- ما الذي يجعلك تقولين أنها انتصرت ؟ لقد كان مادة عارضاً

فُلْجَابِتْ هُوَارِد :

- كلا .. إنها هي التي أنت بنفسها ، ومن الواضح ..

وكان صوتها ينم عن ازدراء لايها .  
وربما له ايضا ..

إذ صدق القرار الذي أصدره الحق ، وما لبثت أن مالت على كتفه  
قائلة في رقة :

- ولكن دعنا لا نتحدث عنها الآن .

واستقرت نظراتها فجأة على جانب الطريق ، فابعثت منها صيحة  
حادة ..

فسألها :

- ماذا هناك ؟

- لقد ظننت لحظة ، أن هذا هو ذلك المعبد الفظيع القريب  
من منزلها !

وعندئذ قال لها :

- إننا ذاهبان إلى هناك ..

فابتعدت عنه بفترة ..

وقالت كأنها لا تصدق مسمعها :

- إلى منزل إيمان ؟ لماذا ..

فأجاب دون أن يلتفت نحوها :

- ألم تقولي انه معروض للبيع ؟

- انه كذلك ..

- حسناً .. ربما فكرت في شرائه ا

فصاحت في صوت حاد :

- آه ! انه مجان بغيض ، وسوف تسمع ذلك الأذنام الجهنمية المنبعثة  
من المعبد ..

وكان مايكيل يفكر في نفسه ا

كم كان غريباً ، ان تلك الموسيقى التي كانت إيماناً رفاح لسماعها ، وتسكن  
لبيها ، تحدث أوراً رهيباً في نفس كات .

واستطردت تساءلاً :

- ولكن ما سأجتنك الى منزل ريفي ؟

- هذه هي احدى النواحي العجيبة في طباعي ..  
فنظرت اليه متفرسة في الظلام ، ولكنها لم تستطع أن تستشف شيئاً  
من اساريء ..

فتضاحكت قائلة :

- لا تكفر عن هذا المذر ؟ يا له من وقت غير ملائم لزيارة منزل  
معروض للبيع ، لا ريب انك قد جئت ..  
وكان قزح ..

فلم تكن كات تبالي بالزوارات الغريبة لأحد الرجال ، متى كاه وسم  
الطلعة كهذا الرجل الجالس يحوارها .  
ودفع مايكيل السيارة في الممر المؤدي إلى منزل ايمان ، ثم وقف في الظلال  
المظلمة ، بمحوار الباب الرئيسي .

وأوقف المحرك ، واطلقاً أوار السيارة ، ثم هبط منها ودار حولها ، ففتح  
الباب المجاور لكات قائلاً :

- تعالى ..

ولكنها ظلت مكانها ، لا يريد ان تخرج في الظلام ..  
ولم يكن مايكيل يريد ان يلقى منها شيئاً من المتاعب الا ،  
فقال لها :

- اتفى أريد ان اريك شيئاً معيناً ، ولن يستغرق ذلك منسا  
وقتاً طويلاً ..

فتبعته نحو المنزل ، حيث راح يحاول فتح بعض نوافذه ، ولكنها كانت

جيمعاً موصدة ..

رواده خلال الظلام :

- ماذا تفعل بحق النساء ؟

- اني ابحث عن نافذة مفتوحة !

لا داعي لذلك ، فلا ريب ان البستاني هنساء اذا انه يقوم على حراسة  
المنزل الى ان يباع ..

ووجد ما يكمل النافذة التي حطمها في المرة الأخيرة ..

فعد يده وفتحها على مصراعيها ، ثم اشار الى هوارد أن تسلقها ،  
قاتلاً :

- لقد وجدت منفذأ هنا ..

فضحكت في اندفاع ، ثم هزت كتفيها قائلة :

- لا يأس من ارضاء عالم جنائي !

ورأى ساقيهما الطويلتين النحيلتين يتألق بياضها الناصع في الظلام ، وما  
لبثت أن اختفت !

فتبعدا بدوره إلى الردهة المالكة المظلمة ..

وكان المنزل .. البرودة والرطوبة في ذلك الوقت من الليل ..

وقد شعر برائحة الموت والفناء تلاؤه الآت ، بعد ان طال غياب  
ايتها عنه ..

وقالت هوارد :

- انتظر لحظة ربيها أضيء المكان !

ولكنه أسرع يقول :

- كلا .. كلا لا تفعل ، وإلا أفسدت روعة المغامرة !

ولم يكن يستطيع رؤيتها ..

ولكنه أبى انها تبتسم ، اذ قالت له :

- هل تريد أن تقدم على مغامرة غرامية معى ؟

- أبغض بذلك ذلك ؟

- كلا .. ففي وسمى أن أدفع عن نفسي !

وصحكت في جمل وقد سرها ان يتبعول الحديث اخيراً إلى هذه الوجبة العادمة

ثم اردفت :

- إلى أين يريد الذهاب أولاً .. دعني ارشدك ، فلاني أعرف المكان جيداً ..

- إلى الطابق العلوى ..  
رأشعل هوداً من الثواب ، فمضت كات أمامة وتنقى الدرج وهي لا تزال تتحدث عن المنزل قائلة :

- انه مكان بغيض ، ولست اتصور كيف تفكير في سكناه ، لقد كنت أمقته دائمًا !

ودون ان تشعر ، راح ما يكل يبر بها امام المجرات الأخرى ، حق بلغا حجرة ايها ، فوجاها مما حيث اغلق الباب خلفها في هدوء ، ومضى الى النافذة ، فبعدت الأستار عنها .

وعندئذ تدفق ضوء القمر خلالها ، وقال :

- هذه هي حجرة ايها !  
 فقالت في غير اكتراث :

- نعم ..  
وما لبست اه اضافت مجفلة :

- ولكن كيف علمت ؟

- لقد جئت إلى هنا قبل ذلك ..  
وكانت تقف في مؤخرة الحجرة بعيداً عن النافذة .

فَسَأَلَتْ فِي عَجَبٍ :

- لِمَاذَا دَعَوْتَهَا إِبْرَاهِيمَ فَقْطَ الْآنَ؟

- لِأَنِّي كُنْتُ أَدْعُوهَا كَذَلِكَ مِنْ قَبْلِهِ ..

وَسَارَ فِي بَظْهَرِهِ حَتَّى دَنَاهُ كَثِيرًا ..

وَكَانَتْ تَنْتَظِرُ مَا يَقُولُهُ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَنْتَظِرْ فَطَرَطَ اَنْ تَسْمِعَ بِسَأَلَاهَا فِي اهْتَامٍ :

- أَخْبَرَنِي مَا الَّذِي جَعَلَكَ تَعْتَقِدُ أَنْ لَاءِهَا عَشِيقًا؟

فِيدَهَا النَّفُورُ وَالْبَغْضُ فِي عَيْنِيهَا .. يَا لَهُ مِنْ وَقْتٍ غَيْرِ مُلَائِمٍ لِلتَّحَدُّثِ

هُنْ لِيَا !

وَأَخْبَرَأُ أَجَابَتْ :

- لَقَدْ فَاجَأَتْ حَدِيثَهَا بَيْنَهُمَا فِي التَّلْفِيُونِ !

وَلَمْ تَفْكُرْ فِي الْإِنْسَارِ ، بَلْ اسْتَطَرَدتْ تَقُولُ فِي هَرَأَةِ :

- وَقَدْ اسْتَرْفَتْ السَّمْعُ مِنْ (التَّوْصِيَّةِ) .

- وَهَلْ تَبَيَّنَتْ صَوْتُهُ؟

فَهَزَتْ كَتْفِيهَا فِي تَهْرِمٍ ، وَعَيْنَاها تَجْوَلَانِ فِي الْمَجْرَةِ وَقَالَتْ :

- أَنِّي لَمْ أَعْرِفْهُ !

فَرَاحَ يَتَطَلَّعُ إِلَيْهَا طَوِيلًا بِعَيْنِيهِ السُّودَادِينِ الشَّاقِبِينِ حَتَّى ارْغَمَهَا عَلَى تَرْكِيزِ  
حَوَاسِهَا مَعَهُ ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ فِي أَسْى :

- وَلَكِنَّكَ تَعْرِفُنِي الْآنَ !

فَاتَسَعَتْ عَيْنَاها دَهْشَةً وَذَهْرًا ، وَغَافَتِ الدَّمَاءُ مِنْ وَجْهِهَا ، وَظَلَّ فَمُهَا  
فَاغْرَأً كَالْبَلْهَاءِ قَبْلَ أَنْ تَفْفَضَ :

- أَنْتَ أَنْتَ !

وَكَانَ مَا يَكُلُّ بِسْتَمْتَعُ بِهِذِهِ اللَّحْظَةِ ..

فَوَجَّهَتْ هُوَارَدْ وَفَلَدَتْ اِرْزَانَهَا ، وَانْهَلَّ بَرَى ذَلِكَ فِي النَّظَرَاتِ الْمُهَابَةِ الَّتِي  
تَحْدِيَهُ إِلَيْهَا ، وَفِي تَوْرِ جَسْمَهَا ، وَهِيَ تَقْفَ إِمَامَهُ رَاضِيَةً بِدِيْنِهِ فِي جَيْبي

معطف الفباء الذي ترددية ..  
واستطورد بقول :

- هل تصورت حقاً أن هذا الرجل - هذا الحبيب كما شئت أن تسميه -  
يقبل قصة موت ابها على علاته وبصدقه دون ان يحاول معرفة كيف حدث  
ذلك حقاً ؟

وانقلب وجهه واشتدت صرامته ، عندما أردف :

- إنك من الغفلة بمثل ما انت عليه من الفجور يا هوارد ا  
ودرب الكلمات في اذنيها دون أن تفهمها ..

فقد الجمها الذهول و مثل حواسها حتى لم تعد تستطيع حراماً عندما  
رأت التغير الذي حل به ، وذلك التحول الغريب الذي أخمدته حوادث  
ذلك الأمسية ..

بل لقد كانت تنظر إليه كأنها في حلم ، عندما ذرع المجرة إلى الباب  
فأدار المفتاح في القفل ، ثم أخرجته منه ..  
ورأت وجهه عندما تحول عن الباب ..  
رأت ذلك الحقد الوحشي مرتسماً في أساريره الجامدة ، فظارت نفسها  
شعاعاً من فرط الفزع ، ولكنها فطنت إلى حقيقة الموقف فأعادها ذلك  
إلى الصواب ..

وأسرعت تعبو كالمحومة في المجرة ، مندفعه نحوه ، ثم اختطفت  
المفتاح من بيده بينما كان يهم بوضعه في جيبه ..

فارتدى إلى الخلف خطوة ، غير أنه سقط من بين أصابعه ، وإذا يكلات  
تلقي بنفسها على الأرض فتفطئي المفتاح يجسمها ..  
وهي ماتيك ضاحكاً ..

بينما نهضت من سقطتها متعرجة ، وهي تمسك المفتاح في قوّة ..

فسألها في تهمك :

- علام كل ذلك ؟  
فلم استطاعت النطق ..

قالت لامهـة :

- لأنـي لا أـحب أنـابـقـي في حـجـرة مـوـسـدـة معـشـخـصـعـجـنـونـ ..  
- لا تـكـوـنـي حـقاـءـ ، فـنـي اـسـطـاهـي انـاحـصـلـ عـلـهـ هـذـا المـفـتـاحـعـمـنـكـ ..  
ـ حـيـثـاـ اـشـاءـ ..

وـكـانـتـ قـرـفـةـعـرـفـاـهـ يـقـولـ حـقاـ ..

وـلـكـنـهـاـ اـطـمـأـنـتـ قـلـبـلـاـ إـذـ سـمعـتـ قـوـلـهـ وـرـأـتـ اـبـتسـامـهـ ..

وـزـالـتـ عـنـهـاـ رـبـقةـ الـخـوفـ الـأـوـلـىـ ..

كـانـ عـاـيـكـلـ الـآنـ ، عـنـدـمـاـ ضـحـلـكـ يـبـدرـ كـعـهـدـهـ ..

كـالـرـجـلـ الـذـيـ طـالـماـ أـحـاطـهـ بـرـعـائـهـ وـتـدـلـيـهـ ، وـأـغـدـقـ عـلـيـهـاـ مـنـ  
وـدـهـ وـحـنـانـهـ ..

وـالـذـيـ إـذـاـ صـدـقـ حـدـسـهـ ، أـخـذـهـاـ فـيـ تـلـكـ الرـحـلـةـ لـيـطـارـحـهـاـ الـفـرـامـ ..

وـكـانـ يـضـيـ نـحـوـ النـافـذـةـ ثـانـيـةـ ..

بـادـيـ الـمـدـوـهـ وـالـسـكـيـنـةـ ..

وـرـاحـ يـسـتـنشـقـ هـوـاءـ اللـيلـ الـبـارـدـ ، وـيـجـولـ بـعـيـنهـ فـيـ الـمـنـاظـرـ الـمـتـشـدـدةـ ..  
أـمـامـ نـاظـرـهـ ..

حـتـىـ اـسـتـقـرـتـ نـظـرـاهـ عـلـىـ الـمـعـبدـ الـقـدـيمـ فـيـ النـاسـيـةـ الـأـخـرىـ مـنـ  
الـوـادـيـ ..

وـمـاـ لـبـثـتـ أـنـ تـحـولـتـ ..

وـوـنـ وـعـيـ ..

إـلـىـ الـفـنـاءـ الـمـجـرـيـ أـسـفـلـ النـافـذـةـ ..

وـإـذـاـ بـذـلـكـ الشـعـورـ الـعـجـيبـ يـعـاـودـهـ مـرـةـ اـخـرىـ ، فـيـحـسـ كـأـنـهـ يـهـوـيـ  
إـلـىـ الـأـعـماـقـ ، وـالـهـوـاءـ يـصـفـرـ فـيـ أـذـنـيـهـ ، وـالـمـنـاظـرـ تـدـورـ حـوـلـهـ فـيـ سـرـعـةـ

خارة ، فلا ييز منها إلا حجارة الفناء المريعة ، وهي تصعد نحوه  
للقائه .

ولم يطل به هذا الشعور أكثر من ثانية واحدة ، إذ كانت هوارد لا  
ترى في الحجرة المظلمة خلفه عندما أرتد إلى وعيه .

وقال لها :

-- تعالى إلى هنا يا هوارد ..

فغضت صوب النافذة بضع خطوات ، على غير وعي ، كأنما كان في  
صوته قوة آمرة لا تستطيع مقاومتها ؟

وعندئذ أردف وهو لا يزال ينظر إلى الأسفل :

-- لقد سقطت إيماناً هنا ،ليس كذلك ؟

فأجابت :

-- لست أدرى ، فلم أكن هنا .

فاستدار نحوها بفتة ، وقال :

-- سبان ، فانت في نظري كأنك بقيت هنا حتى دفعتما بيديك .  
وكان صوته يدوي في الحجرة وفيه اتهام ، هل حين كانت هنساء  
تقدحان شرراً ..

وعندئذ أحس هوارد بالفزع يعاودها من جديد .  
فتتحولت واسرت تعود نحو باب الحجرة ، وتحداوها العالي يتغطر في  
السعادة السبكة التي تكسو الأرض ..

ولكن ما يكل سبقةها إلى الباب في وثنتين طولتين ، ثم اند ظهره  
إليه وسألهما :

-- إلى أين وربين الذهاب ؟

فغمضت تقول في صمودة :

-- سوف أعود إلى المدينة .

و عندئذ امتدت يده وأطبقت على كتفها ، فاحسست بأصابعه تتشبث في عظامها رغم قوتها و مهطفها السميك ..

بينما كان يستطرد :

- هل تعلمين ما أنا صانع بك يا كات ؟  
فجرت بلسانها على شفتيها الجافتين .

ثم قالت :

- إذا لم تدعني فسوف أصيغ مستنجدة ..  
فرد مايكيل :

- هيا .. أمشي الدنيا معاها كا تشانين ، فلن يسمعك أحد ..

فهتفت في صوت كالعلويل :

- إن البستان هنا ، و سوف يسمعني ..  
ولم تكون قبضته القوية قد تركت كتفها بعد ..  
 فقال :

- لماذا لم تصبخي ؟

- لأنني .. لأنني أريد أن أتيح لك الفرصة كي تدعنا نخرج من هنا دون فضيحة .

و تطلعت إلى وجهه في لفة عسى أن تجد اتوسلها واستنجادها بضميره قبيحة مشمرة .

ولكنها لم تبدلأ في تلك الأسaris الشاحنة الجامدة ، كأنها فقدت من الحبر العدل .

و أنها استطرد يقول :

- ألا تعلمين اننا في يوم الجمعة ، حيث يذهب كلالي لزيارة اخته ؟  
ولو لم يكن مسكنا بها في قوة هوت على الأرض ، فقد خارت قواها  
واحسنت بمساقيتها لا تقويان على حملها .

وَمَا لَبِثَ الْحَقْدُ وَالْفَرْعُ أَنْ جَعَلَ الدَّمَاءَ تَغْلِي فِي عَرْقَهَا .  
فَصَاحَتْ فِي حَنْقٍ بَالْغُ ..  
— دَعْفٌ اذْهَب ..

وَلَكُنْ مَا يَكُلُّ كَانَ يَتَابِعُ حَدِيثَهُ كَأَنَّمَا لَا يَجِدُ بِوُجُودِهِ :  
— لَقَدْ أَخْبَرْتِي بِذَلِكَ نَفْسِهِ ، وَلَهُذَا جَئْتُ بِكَ الْلَّيْلَةَ إِلَى هَنَا ..  
فَكَانَ فِي بِسَاطَةِ تَقْرِيرِهِ هَذِهِ الْحَقْيَقَةُ مَا أَشَاعَ الْفَرْعَ إِلَى قُلُوبِهَا أَكْثَرَ مِنْ  
أَيِّ شَيْءٍ قَالَهُ حَتَّى الْآن ..  
كَانَتْ كُلُّ كَلْمَةٍ مِنْ عِبَارَتِهِ الْأُخْرِيَّةِ أَشْبَهُ باصْبَعَ مِنَ الْفَوْلَادِ الْبَارِدِ تَقْبِضُ  
عَلَى قُلُوبِهَا وَتَمْسِيرُهُ عَصْرًا ..

فَلَقَدْ دَبَرَ كُلُّ هَذَا ..

وَرَقَبَ الْأَمْرَ بِمَحِيطِ يَكْوَنُونَ هُنَّا بِفَرْدَهُمْ حَتَّى يَكْنَهُ أَنَّ ..  
وَاشْتَدَّتْ قَبْضَتُهُمْ عَلَى الْمَفْتَاحِ الْخَدْبِيِّ فِي يَدِهِمْ وَسَبَعَتْ هَيْنَاهُمَا إِلَى  
الْبَابِ ، وَحَوْلَ الْحَجَرَةِ ، كَعِنْيِ لِبَوَّةٍ وَقَعَتْ فِي الشَّرْكِ ، تَبَحْثُ عَنْ مَنْفَذٍ  
لِلنِّجَاهِ مِنْهُ ..

وَكَانَ السُّكُونُ الشَّامِلُ بَيْنَهُمَا فِي غِيَابِهِ ..  
فَلَا يَسْمَعُ فِيهِ إِلَّا تَرْدَدُ انْفَاسُهَا الْلَّاهِثَةُ ..

وَرَمَعَ ذَلِكُ ، فَلَقَدْ التَّقْطَطَتْ أَذْنَاهُمَا الْحَادِهَانِ صَوْتُ الْمُوسِيقِيِّ يَنْبَثِثُ خَافِتًا  
مِنْ مَكَانٍ سَحِيقٍ ١  
ذَلِكُ الصَّوْتُ الَّذِي طَالَاهُمْ بِإِنْفَضَتِهِ فِي الْمَاضِي .. اِمَّا الْآنَ فَمَا احْلَى وَقَعَهُ  
فِي مَسَامِعِهَا ٢  
وَتَنْهَدَتْ فِي اِرْتِياحٍ ..

ثُمَّ غَلَصَتْ مِنْ قَبْضَتِهِ وَانْدَفَعَتْ نَحْوَ النَّسَافَةِ ، حِيثُ الْمَحْنَتْ وَأَشَارَتْ  
بِاَصْبَعَهَا صَوْبَ الْمَعْبُدِ ، وَهِيَ تَصْبِحُ كَالْمَنْوَنَةَ :  
— اَنْ كَلَّا يَلِي لَمْ يَذْهَبْ إِلَى مَنْزَلِ اَخْتِهِ الْلَّيْلَةِ .. اَنْهُ هَنَا ! وَهَا هُوَ يَعْزِفُ

على الأرغن الآن !

وانصت ما يكمل إلى الأنعام الحسافلة وهي تسارق الخطى إلى الجمرة ،  
وادرك أنها من وقع هازف ماهر ..

وانها هي الأنعام التي سمعتها «إيما» من هنا مئات المرات فاحببها  
وسكنت نفسها إليها ..  
ولكن هذا معناه أن كلاي في المهد حدا ، ولم يذهب لزيارة أخته  
كمعاده ..

وكانت هوارد بمنة في صيامها وهي تقول :

- ما من أحد غيره يقرب الأرغن ، وانك لن تستطيع معي أمرا ،  
سوف يفرغ من عزفه ويشيكأ ويعود إلى هنا .  
فمضى إلى النافذة وأمسكها بها من الخلف وهو يقول :  
- لن يعود بالسرعة التي تظننيها .

فراحت تناضله مبتعدة عن النافذة ، وهي تفرس أظافرها في فراغيه ،  
وتصيح :

- انك تهدي كالبهائين !  
فارغمها على السكون ، وتقتم :

- لقد أخبرتهم كيف احضرتك إلى المزل ، وجعلتك تصنعين بنفسك  
ما سمعته بها .. قلت لهم ، سوف تقوت الآن بنفس الطريقة التي قتلت  
بها إيمـا ..

فراحت تركله بقدميها الصغيرتين صائحة :  
- كلا .. كلا دعني اذهب .

ولكنه أخذ يهزها في غضب ، ويقول بصوت كقصف الرعد :  
- تصورني انك إيمـا ، وقد حطم الناس قلبك وآفسد حياتك إلى الأبد ،  
تصورني ذلك لحظة .

و كانت اسنان هوارد تسطرك ذهراً وهي لثن كالذبيحة .  
ولكنها أدركت فجأة ان ذلك الأرغن اللعين قد كف عن العزف ، فهمست  
في حسرجة رهيبة :  
— افـد كـف الأـرغـن عـنـ الـعـزـف ، وـسـوـفـ يـعـودـ كـلـيـاـيـاـ لـاـنـ .. سـوـفـ  
يعـودـ لـلـتوـ ..

إـلاـ أـجـاـيـاـهاـ فيـ هـدـوـهـ وـسـكـيـنـةـ :

— سـوـفـ قـوـتـيـنـ قـبـلـ ذـلـكـ ..

فـتـمـلـصـتـ مـنـهـ وـهـرـعـتـ إـلـىـ النـافـذـةـ حـيـثـ صـاحـتـ صـيـحةـ هـائـلةـ .

غـيرـ اـنـهـ سـرـعـانـ ماـ كـانـ يـجـاـنـبـهاـ وـقـدـ اـطـبـقـ يـدـهـ عـلـىـ فـمـهـاـ كـيـ يـكـتـمـ صـوـتـهـاـ ،  
بـيـنـاـ أـمـسـكـ بـهـاـ بـيـدـهـ الـأـخـرـىـ .

ولـكـنـهاـ اـنـفـلـتـ مـنـ بـيـنـ أـصـابـعـهـ ، فـارـكـ مـعـطـفـهـاـ فـيـ يـدـهـ ، وـانـدـفـعـتـ لـحـوـ  
الـبـابـ ، وـقـبـلـ أـنـ تـسـطـيـعـ يـدـهـاـ الـرـتـدـةـ أـنـ تـواـجـ المـفـتـاحـ فـيـ القـفلـ ، كـانـ  
قـدـ اـنـقـضـ عـلـيـهـاـ ثـانـيـةـ ..

فـاـنـطـلـقـتـ تـعـدـوـ فـيـ الـحـبـرـةـ بـعـيـدةـ عـنـهـ ، وـارـتـطـمـتـ بـخـوـانـ كـانـ مـوـضـوـعـاـ  
بـيـحـوارـ الـفـرـاشـ فـسـقطـ بـهـاـ عـلـيـهـ مـصـبـاحـ وـكـتـبـ فـرـقـ الـأـرـضـ  
فـكـانـتـ تـنـاضـلـ كـوـحـشـ أـحـاطـ بـهـ الصـادـدـونـ ..

وـلـمـ يـكـنـ مـاـيـكـلـ يـتـوـقـعـ أـنـ تـكـوـنـ عـلـىـ هـذـاـ الـقـدـرـ مـنـ الـخـفـةـ وـالـسـرـعـةـ .  
فـفـيـ حـاضـرـهـ صـورـهـ لـلـطـلـبـةـ عـلـىـ إـنـهـاـ لـمـ تـجـدـ الـقـوـةـ عـلـىـ النـضـالـ وـالـمـقاـومـةـ .  
أـمـاـ لـاـنـ ، وـهـيـ فـيـ قـبـضـتـهـ ، فـقـدـ كـانـتـ تـعـدـوـ وـتـنـشـيـ كـأـنـهـاـ وـحـشـ يـنـفـرـ  
مـنـ مـطـارـدـيهـ ..

وـكـانـتـ لـاـ تـقـنـاـ تـصـبـحـ فـيـ اـنـيـنـ :

— اـنـكـ مـجـنـونـ خـطـرـ ، وـلـنـ تـسـطـيـعـ أـنـ تـقـتـلـ فـيـ ، فـلـنـ تـدـلـتـ مـنـ  
الـعـقـابـ قـطـ ..

وـكـانـ شـهـرـهـ الـمـعـرـوسـ فـيـ عـنـيـةـ قـدـ تـهـلـتـ خـصـلـاتـهـ فـوـقـ ظـهـرـهـ ، عـلـىـ حـينـ

ترقى ثوبيها في يده عندما امسك بها ليقيده سراً كها .

وعادت تصيح في ذعر طاغ :

- إني لم أسىء إلى أيها قط ، لقد كذبت عليك آن ، وفهمتك الأمر على غير حقيقته ، فانقدت لأكاذيبها مع أنها السبب في كل ما حدث ، إن (آن) مجنونة كامها .

ولأن وجهها متقلصاً بشعاً ، وقد اختلطت الأصابع فوقه ، وامتزجت بدموعها ، عندما استندت إلى الجدار مشبثة به وهي تعاود الصياح :

- إني لم أسىء إلى أيها .. لست أنا التي فعلت بها ذلك ..

وانقلبت تتضرع في صوت برق نباط القلوب :

- ارجوك يا مايكل ، لا تقتلني ، هبني فرصة للحياة ، هلا استعدت هدوئك حتى نتحدث في الأمر ؟

ثم تخلصت من قبضته القوية ..

وأسرعت إلى النافذة المفتوحة صارخة :

- الي يا كلاي ! النجدة ! كلاي ! النجدة ..

فلحق بها مايكل وجدتها بعيداً عن النافذة ، وهو يقبض على عنقها ليكتم هذه الصرخات الوحشية ..

فأخذته الرعدة عندما لبس عنقها ..

وانتهزت الفرصة فأفلنته من يده وقبعت في أحد زوايا الحجرة وهي تناضل بكل ما يقوى فيها من قوة ..

ولكتنه راح يحرها على الأرض عائداً بها إلى النافذة .

وامسك بعنقها من جديد ، فأرغمتها على النهوض حتى اثنق ظهرها على قاعده النافذه ..

وعندئذ سمع صوت سقوط جسم معدني على أرض الحديقة .

ولكن مايكل لم يكن يشعر بشيء سوى المقاومة الضعيفة المنبعثة من

الجسم الضئيل الذي بين يديه .

وكان العرق يتصبّب من جسمته قبلاً عينيه ، بينما كان ضغط يديه على  
عنق هوارد قد رفع قدميهما عن الأرض شيئاً فشيئاً بحيث راحت تتأرجح فوق  
قاعدته النافذة .

وفي جهد أخير شدد مايكيل الضغط ، وإذا هما انفلت من بين يديه ،  
وتهوي في الفضاء .

وسمع صرخة مكتومة ..

فلا نظر إلى أسفل ، لم تكن ذات أكثر من بقعة هامدة داكنة ، فوق  
حجارة الفتاء القاتمة .

### الفصل الثالث عشر

راح مايكيل جويس يدير عينيه في الغرفة ذاتها مشدوهاً .  
فقد كانت في حالة عنيفة من الفوضى ، وقد انقلب الأثاث ، وتناثرت  
الستائر وأغطية الفراش فوق الأرض ، وامتلأ المكان بالكتب وقطع  
المصباح المطعم .

انها لم تعد حجره ايا الان ..  
ويوده ان يفر منها في اقرب وقت ، فالتقط محفظه هوارد الملائقي بحوار  
النافذه ، واسرع نحو الباب .  
ولكنه وجد الباب موصداً

آه ! طبعاً ، انه هو الذي أوصده .  
وانخذ يبحث عن المفتاح فوق الأرض ، فلم يجد له أثراً .  
قدمن اصابعه المرقده في شعر المشتم الشهد فوق جبهته ، وانخذ  
يعصر ذهنـه ليذكر اين وضع المفتاح .  
نعم . لقد أخذته كانت في وقت ما .  
ومضى إلى النافذه فنظر إلى الأسفل ..  
ها هي هوارد كومة من المطام فوق الحجارة الباردة للفناء ..  
لقد مات هوارد ، ولن تضيقه بعد الان ..

ولكن اين المفتاح ؟  
آه .. انه ليذكر انه سمع رنينا حاداً في لحظة ما بعد ان كفت موسiqui  
الأرعن عن العزف ..

فأدرك ان المفتاح ملقى الان على الأرض يجانب هوارد .  
واستقرت انظاره على المورد ..  
فأسرع يتناول محرك النار الحديدية الثقيل ، ويضي محاولاً تحطم  
القفل ..

كان ينبغي ان يغادر هذه الغرفة في الحال ..  
ولكن القفل العميق كان متيناً ، فلم يتزعزع من موضعه .  
فالقى مايكيل المحرك من يده ثم انقض على الباب بكنته ، محاولاً  
فتحه عنوة ..

فكان يستجتمع كل ذره من قوته في عضله ، وهو يرقي على الباب  
مره بعد الأخرى ، حتى تحطم الباب دفعة واحدة ، وسقط مايكيل في  
الردهة من شدة الاندفاع ..

وقتمد في ارتياح بالغ ..  
ثم وقف برهة ، مرتفع السمع ، وهو لا يزال يتآبط مع طف  
كات هوارد ..

وكان السكون والظلام يخيان على المنزل ..  
فراح يتحسس سبيله فوق الدرج في حذر شديد حتى بلغ النافذة التي  
دخل منها ، فتسقطها .

وكانت الحديقة مقفرة موحلة عندما مضى يدور حول المنزل بدافع  
خلفي ، لم يدر كنه وقته ..

فلا بلغ القسم الخلفي ، الذي تشرف عليه نافذه ايما المفتوحة ، راح  
يسير على العشب ، متسلكاً المرات المرصوفة خشبة ان يسمع صوت وقع

أقدام فوقها .

وكانت جثة هوارد مكومة حيث سقطت  
فرفعتها في خفة ، ولتها في المطاف ، ثم حلها عائداً بها إلى حيث قرجد  
سيارته ..

فكان لا يشعر بيقلاها ، فكانه يحمل المطاف خالياً .  
وفجا هو يدور حول المطاف ، وقف مكانه مصوقاً بلا حراك ، فقد  
طرق سمعه وقع أقدام تقترب نحوه ، فوق الممر المرصوف .. وصوت  
رجل يغنى ؟

فأسرع ينحني بحمله ، ختفيا خلف ظلال خبطة من الزهر يحيوا الطائف  
الرخامي للشرفة .

فكان كلامي يرفع عقيرته بالفناء مارقاً بأشودة دينية ، وهو يسير في  
خطى سريعة نحو باب المنزل .

وما لبث أن فتحه واختفى بداخله  
فيما كاد ما يكمل يرى الباب يغلق ثانية حتى خرج من مكتبه ، وأسرع  
يعدو فوق المشب حتى بلغ المسيرة .

فوضع الجثة فوق المقعد الخلفي ..

ثم تسلل إلى مقعد القيادة وأدار المركب ، وما لبث أن اندفع إلى الأمام  
راحلا عن المكان إلى الأبد .

وكان المرواه يحرك أغصان الشجر في حفيظ متتابع ، والطير الرليلية  
تحلق فوق الزهور بعد أن خلت الحديقة ثانية والقمر في طريقه إلى المغيب ،  
بينما أخذ الضباب الخفيف ينتشر ويمتد من ناحية الشلال القريبة ..

وكان منزل إيمان ينهمض في مكانه كمهده منذ مئات من السنين ، ساكناً  
هادئاً ، حتى لا يحسب ، إذ رأى لوازمه الأمامية موصدة ، وان قاطنيه  
يغمون بنوم هادي ، متصل .

رفتح الباب الرئيسي دفعة واحدة ، وخرج منه كلاي بندو ، مرتدية  
قبعه ..

وراح يتطلع إلى المر المؤدي إلى البوابة الخارجية ، فرأى الفوه  
الأخر بؤخرة السيارة ، في اللحظة التي كان فيها يختفي عند  
منعطف الطريق .

فندت عنه صيحة دعشة حادة ..  
ثم أمرع بعده نحو المنزل ثانية ، حيث مضى قدماً إلى جهاز  
التليفون ..

وفي صوت يتهدج انفعلاً .. طلب إلى العامل أن يصله بمركز  
البوليس ..

\* \* \*

ووجد مايكيل جويس نفسه يقود السيارة على غير هدى في هذه الطريق  
الريفية ، دون أن تكون لديه أقل فكرة عن الوجهة التي يذهب إليها ..  
وكان خائر الجسم ، منهوك القوى ، بعد ذلك الجهد العنيف الذي انتقد  
في الساعات الأخيرة .

فكان يشعر بحاجة قصوى إلى النوم ، وفي الوقت نفسه كان يخامره  
شعور غامض بالفوز والانتصار .

لقد قام بما أراد أن يقوم به ودبره ..  
وقد انتقم لايها ..  
 فمن العدل أن توت كات كما ماتت ايها ..  
فالعين بالعين ، والسن بالسن ..

هذه هي المدالة ..

العدالة الأزلية العددية ..

وهي أقدم عهداً ، وأشد تبعيلاً من هذه القوانين الوضيعة الحديثة التي لا تسمح لك بالاقتناء باسم راخد ثارك بيديك .

فالوسيبة التي اتبعها أيسر منها ، وأكثر انطباقاً على العدالة وأسرع اوراً ،  
وقد قال لطفيه :

إنها كلامت جريمة دبرت في رعي كامل رعقل سالم ، ونفذت دون أن تخالطها ثغرة واحدة .

وتعديل في مكانه تلتها ..

فإنه لم يقدم طلبيته وصفاً كاملاً للقضية، فلم يعلموا كيف كذبت عليه  
كاث، حق في لحظاتها الأخيرة، فأنكرت أنها اسألت إلى إيمان فقط، وكيف  
تأصلت وقارعاته، بما جعله الآن خائراً القوى منه وكما ..

لقد أغفل بعض التفاصيل التي سوف تعاونهم عند تحليل عقلية كات  
النحو ..

بِلْ أَنَّهُ لِيَشْرُكَ أَغْفَلَ شَيْئاً أَخْرَى.

والنفت وراءه إلى المقعد الخلفي ..

رفيعة صفا ذهنه ، وسرت في بدنها قشريرة باردة عندما صدمته الحقيقة  
الكاملة لواقعه الآن ، وقامت له في وضوح وجلاء .

فها هو - مايكيل جويس - الطبيب الدائع الصيت بهــاري ســورــت ،  
واخصائــي جراحة المــخ المعروــف .

ها هو يقود سيارته في طرق غير مألوفة لديه ، وفي غمرة الليل ،  
ومنه جنة إمرأة قتيل .

و لم يعد يذكر إلا في شيء واحد فقط ، هو أن يتخلص منها في أقرب وقت ..

فہری لم تعداد کات بعد ..

إذا هي حل ثقيل خطر يجب أن ينفذه عن العيان ، وأن يطلق به في أي ملأ .

واريد وجهه إذ رأى جحافل الضباب تسد الطريق في وجهه .

وكان جانباً الطريق قد اختفي عن ناظريه ..

ولم يعد أمامه سوى ظلمة حالكة كثيفة ، دون ان تخترقها الغوار  
السياره الامامية .

فكان ذرات الضباب قد ظلت زجاج السيارة امامه ، حتى لم  
يستطيع الرؤية ..

فأرقها وأخرج منشأة صفيرة راح يسمع بها الزجاج لينظره ، وفي خلل ذلك برهف السمع ، فلم يسمع سوى هدير المركبة المتتابع .

وفي عزم مفاجئه ، سار مايكيل إلى مؤخر السيارة وراح ينظر إلى الجنة  
المجاهاه فوق المقعد الخلفي تحت المعلف ..

لقد كانت هذه فرصة الذهبية للخلاص منها ففتح الباب ، وشرع  
يقوم بها اعتزمه ..

وَمَا كَادَتْ يَدُهُ تَعْسِفُ الْفَرَاءَ، حَتَّى ابْعَثَتْ خَلْفَهُ زَئِيرًا بِصَمَ الْأَذَانَ، قَبَعَهُ  
صَوْتُ احْتِكَاكِ الْمِعْلَاتِ بِالْأَرْضِ وَهِيَ تَوْقِفُ فَجَاهَ ..

وإذا بضياء ساطع يهم عينيه وينبعث من مهابسي سياره نقل كبيره  
تلاف خلف سيارته مباشره ٠٠

و هبط من السيارة جندي أمريكي فارع الطول هربض المذكوبين ، اقترب منه ، وهو يضم يده في خاصرته ..

شم يقول مختبراً:

- لا تستطيع أن تتخيل مكاناً أنسٍ من هذا اللوقوف ؟  
وكان ما يكلّل واقف يحوار النافذة الخلفية لسيارته ليسبّب الماء  
الخلفي ..

فأجاب متلمساً من رهبة المواجهة :

- لقد وقفت لأنظف الزجاج الأمامي ، إذ لم أكن استطيع الرؤية .  
فرد الأميركي :

- ومن ظننتني ؟ هرّة تخترق أنظارها الظلام وتوى على مبعدة ؟  
ثم ربت على كتفه في مرح ، وأردف :

- والآن هل تعرف أين نحن يا صديقي العزيز ؟  
وكان ما يكلّل قد رأى لامنة في الطريق قبل أن تزداد كثافة الضباب ،  
فقال :

- إننا في طريق بورتسواوث الرئيسي ..  
- حسناً .. شكرأً الله أن عرفت هذا ، فذلك هو الطريق المفروض  
أن أمضى فيه ؟

فانتظمت انفاس ما يكلّل قانية ، وعارضه الاطمئنان ، فقال :

- يمكنني أن أسف لكي طريقة الذهاب إلى هناك ..

فأجاب الأميركي :

- كلا .. شكرأً ، سوف أتبعك وكفى ..

فأسرع ما يكلّل يقول :

- ولتكنك لن تستطيع ذلك طويلاً .. سوف اخرج على طريق  
جانبي بعد قليل .

وكان يدّعو الله في نفسه أن يجد منعطافاً في الطريق أمامه ا  
- حسناً ، أتبعك إلى أن تصل إلى غايتك ، وما عليك إلا  
أن تشير لي ..

ثم قفل راجعاً إلى سيارته ، فلم يجد مايككل مناصاً من العودة إلى  
عجلة القيادة بدوره .

ومن ثم مضى في طريقه تبعه الشاحنة ..  
ولم يجد منعطفاً خلال ميلين قطعها ونفسه تطير شعاعاً بين الشوك  
والبلقين ..

بين اليأس والأمل ..  
ولكنه ، إذ كاد يقطع الرجاء نهائياً ، ورأى في ضوء المصايب الامامية  
ثغرة في الجانب الأيسر من الطريق ، ما لبث أن ثبت أنها طريق جانبي ،  
فدار بسيارته منعطفاً ..

ثم أشار بيده إلى سيارة النقل أن تمضي قدماً ، وأخرج رأسه من النافذة  
فضاح بالأمر يكي :

- سر أمامك في طريق مستقيم تصل إلى بورتسوت ..

- شكرأ يا جورج .. إلى اللقاء ..

\* \* \*

مضى مايككل في الطريق الضيق في ببطء وحذر ..  
انه سوف يخرج الجثة من السيارة ، عندما يتعد عن الطريق الرئيسي  
بسافة كافية ، ويتركها ..

يتركها في أي مكان يجده ..

فليس بهم أين يضعها ، وإنما المهم أن يتماهى منها على أي وجه ، في  
حقل مهجور ، أو تحت كومة من المشب الجاف ، وسوف يكون الضباب  
خبير عون له ..

فلن يراه أحد البتة ..  
وعندئذ راح يتفرس في معالم الطريق حواليه ، ليرى ان كان قريباً من  
أحدى القرى ، أم يسير بين الحقول المكشوفة .

ونجأة ظهر امامه شبح يقف في عرض الطريق ، ويلوح بيده مشيراً  
له بال الوقوف !

فدار ما يكمل بالسيارة حوله ليتفقى الاصطدام به ..  
ثم اوقفها دفعه واحدة !

وبعد لحظة ، رأى كهلا يقف بمحوار النافذة ويقول له :  
- أليس في رسالتك أن تساعدني قليلاً ؟ لقد انحرفت عن الطريق ففاقت  
عجلات سيارتي في أحدى الحقول .  
وكان ما يكمل يصغي إلى ذلك الصوت العميق ، واللهم المثقفة ، وقد  
تلمس شعور مرير بالخيبة واليأس .

ولم يكن يجرؤ على النظر خلفه ، ولكنه كان يعلم ان جثة كانت لم تكن  
قطعاً حتى يعطف الفراء .

ولو أن ذلك الغريب سرحت أنظاره إلى الملعون الخلفي دون قصد  
لرأى الجثة ستما ..

وعندئذ اتجاب في اقتضاب :  
- اني شديد الاسف إذ لا استطيع الوقوف الان .. اني في عجلة  
شديدة ..

- لعلك اذن تتفضل بحملي إلى منزلي ، فهو لا يبعد عنا إلا زهاء نصف  
ميل ، حتى استطيع استخدام التليفون .

ورأى ما يكمل ان ينتهي العذر الذي كان دائماً عذراً مقبولاً .  
فقال في اقتضاب :

- شد ما يؤمنني ألا يمكنني ذلك ، اني في طريقني إلى حالة عاجلة .

ولم يشعرك الرجل من مكانه ، بل قال :

ـ هل أنت طبيب ؟

فأجاب مايكيل :

ـ نعم .. ويحب أن أسرع ..

فابتسم الكمل وقال :

ـ حسناً .. ابني سعيد الحظ إذن ، إن اسمي فاريل - الدكتور فاريل  
ولي عيادة في هذه الجهة ، وهناك طفولة أصيبت بحراب شديدة تنتظر ذهابي  
لرؤيتها .. ولكن إلى ابنك ذاهب ؟

إلى ابن ؟ أجل إلى ابن ؟

وتقى مايكيل :

ـ إلى نهاية هذا الطريق ؟

وكأنما وثق الدكتور فاريل من معونة زميله ..

فقال كمن يقرر حقيقة واقعة :

ـ حسناً .. لعله يحسن أن أترك سيارتي وأمضي معك إلى أقرب مكان  
أجد فيه جهازاً تليفونياً .

وراقبه مايكيل ، مكتوف الأيدي لا حيلة له في الأمر ، بينما كان بدور  
خلف السيارة ، ورافقه إلى الباب المفتوح له .

ولم يتسع له الوقت لأكثر من نظرة واحدة يلقاها خلفه ، قبيل أن يضع  
الدكتور فاريل قدمه على سلم السيارة ..

ولتكنه إذ الخفي ليدخل ، خطرت له فكره طارقة ..

فقال :

ـ آه ! لحظة واحدة ، يعني ان أحضر الحقيقة من سيارتي ..

واسرع يختفي بين الضباب ..

فاستدار مايكيل إلى الخلف ورفع الجثة إلى آخر المتمدد ، ثم طرح

فوقها معطف الفراء محارلاً اخفائها عن العيان .  
وعاد الدكتور فاريل ..  
فجعلس يحيانيه ووضع المحقية تحت قدميه ..  
فانطلق مايكل بالسياره وهو يقول :  
- إلى أين جويد ان اوصلك ؟  
- الى اي مدى ستمضي انت ؟  
توى ما هو الجواب على مثل هذا السؤال ؟ وكيف يذكر اسم مكان  
قريب مناسب من هنا ؟

وأخيراً قال :  
- لست واثقاً تماماً من بعد المكان عن هنا ..  
فأـالـ الدـكتـورـ فـارـيلـ :  
- انـيـ أـعـرـفـ الـمـنـطـقـةـ جـيـداـ .. وـقـدـ يـكـونـ فـيـ دـسـعيـ أـعـاـونـكـ !

فأجاب مايكل :  
- كـلاـ .. إـنـهـ مـكـانـ بـعـيدـ ، شـكـراـ لـكـ ؟  
آـهـ أـلـوـ أـنـ هـذـاـ إـلـيـجـلـ يـكـفـ عـنـ أـسـئـلـتـهـ ، لـهـانـ فـيـ وـسـعـهـ أـنـ يـفـكـرـ فـيـ الـأـمـرـ ..

ولـكـنـ الـكـهـلـ رـمـتهـ فـيـ حـدـةـ مـنـ وـرـاءـ عـوـيـنـاتـهـ .

ثم قال :  
- هل أـنـتـ مـنـ لـندـنـ ؟  
- نـعـمـ ..  
- أـلـكـ خـبـرـةـ بـكـسـورـ الـجـمـعـةـ ؟

فابتسم مايكل ..  
انـهـ آـمـنـ مـطـمـئـنـ طـالـماـ تـحـدـثـ هـذـاـ إـلـيـجـلـ عـنـ الـمـهـنـةـ ..

ثم قال :

- إلى حد ما ..

فصرر الدكتور فاريل بشفتيه ، وقال :

- لقد كان في وصي أن أشد معونتك الـية إذن ، فلماذا أتيت  
مناخراً ؟

- في أي شيء كنت تزيد معونتي ؟

- ذلك الطفلة التي كنت أخبرك عنها ؟

- هل أصبت في أحد حوادث الطريق ؟

فأجاب الدكتور فاريل :

- نعم .. لقد صدمت سيارة نقل إحدى السيارات الخاسرة في  
الضباب .. وكانت الطفلة تجلس في المقعد الخلفي ، فتلاقت أشد ما  
في الصدمة من حنف .. وهي الآن غائبة عن الوعي ، والدماء  
تنزف من قطع أذنها اليمنى .. وفي رأبي أنها أصبت بنزيف في  
الشريان الأوسط ؟

فأله ما يكلل :

- هل استعادت شعورها في وقت ما ؟

- نعم . بعض الوقت ، فكانت تبدو في حالة طيبة ، ثم غشي عليها  
ثانية ، وهذا ما دلني على أنها في خطر شديد ؟  
واستيقظت غريبة المهمة في نفس ما يكلل ، وأدرك أن فرصةنجاة  
الطفلة ضئيلة تماماً ، فقال :

- ربما كنت على حق ..

وخرج فوقها الصمت برهة ..

ثم هتف الدكتور فاريل :

- مهلاً . هذا هو الطريق ، هل يمكنك أن توصلني إلى هناك ؟

- نعم ..

فقال فاريل وهو يطلق ضاحكة عالية :

- حقاً أحضر الوفاة على الأقل؟

ولكن مايكيل قال متعيناً :

- لقد رأيت حالات خارقة نجَا منها المصابون بكسور في الجمجمة!

فقال الدكتور فاريل في جفاه :

- لقد رأينا جميعاً مثل هذه الخوارق، ولكنني لا أتوقعها فقط، ولا أحسب لها حساباً، كما أني لا أبالي بهذا الأمر أو ذاك.

فقال مايكيل :

- أما أنا فأشتبه أبالي بذلك كثيراً، إنني دائماً أكره أن يموت أحد مرضى.

فزجر الكهل ساخراً من حماسته رقة خبرته، وقال :

- إن ذلك نوع من العاطفة الرقيقة سوف تنتهي عليه عندما تقتل من المرضى مثلما قتلت؟

- لست أظن ذلك .. فإنما نشعر بكثير من الغبطة، عندما نحارل إنقاذهن ..

فقال الدكتور فاريل :

- إن الأمر إذاً - في حالتك هذه - لا يعود مجرد الزهر والخيال، أما الحقيقة فغير ذلك أيها نظرت لها، ليس لدى الانسان أي شعور رقيق، ولكنه فقط يظن أن لديه هذا ..

ثم هض بتتابع القول في سخرية وهو يعن النظر خلال الضباب :

- وإن الناس دائماً يفعلون أشياء يدررونها بدروافع كافية غير صحيحة، ولو أنهم راجحوا الحقائق، لأدركوا أن الباعث الحقيقي لما يفعلونه، إنما هو الاف والأفانية، أو العادة، أو الفقر ..

- إن الحياة لا تساوي قلامة ظفر إذا نظر المرء إليها من هذه الوجهة فقط .

ففهم الطبيب الكهول ، وقال :

- إنها كذلك حقاً ، ولكنني أخذت نصيبي من الاستمتاع بها كاملاً ... ما قد وصلنا .. الآن ، سوف نجد في انتظارنا موقفاً

البعض مع الأم ؟

فسأل مايكيل :

- كم عمر الفتاة ؟

- إنها مجرد طفلة ، في الثانية عشر ..

فرد مايكيل هذه العبارة في ذهن شارد :

- في الثانية عشر ، إنها في عمر آن ..

فنظر إليه الدكتور فاريل ، وقال :

- آم آللك ابنة ؟

- كلا .

فلم يوقفت السيارة ..

قال الدكتور فاريل :

- أحسب أنني لن استطيع إغراءك على الدخول والاشتراك معني في فحص المصابية ، فلن أهل المريض يرثون دافعاً إذا وجدوا رأياً تانياً يقول بأنه ليس ثمة أمل في الشفاء ..

وكان في صورته من قلة الأكتراث ما أثار في نفس مايكيل نوعاً من الحنق والغضب .

وعلى الرغم من أنه لم يكن خيالياً ..

إلا أن بروز هذا الطبيب وتشاؤمه - أو لعل مذهبها الواقعي ، كما قال - قد أشعل مراجيل الغضب في نفسه ، وأحسن بالرقة والشقة

نحو مرضاه .

فقال في برود :

- ربما كان هناك امل في الشفاء .. فالطفلة هل قيد الحياة ؟  
اليس كذلك ؟

فهز الآخر كتفيه .

ثم غادر السيارة وحقيبته في يده ا

وبرود ما يكمل لحظة خاطفة ..

وما لبث ان تبعه ..

## الفصل الرابع عشر

رأى مايكيل في الظلام صفا من اكواخ العمال الصغيرة المشيدة بالأجر ، أمامها حديقة صغيرة وسياج خشبي منخفض ، فتح الدكتور فاريل أحد أبوابه ..

ثم مضى في الممر الضيق المؤدي إلى المنزل ..  
وبينما كان مايكيل يسير في أفرء ، ظهر أحد رجال الشرطة قادماً على دراجته ، متبعهما نحوه ..

لما كاد مايكيل يراه حقاً جد في مكانه بلا سرراك ، وقد أحس برغبة جنونية في أن يطير عائداً إلى سيارته ..

ولكن الشرطي لم يعره التفافاته ، بل سمعا الدكتور فاريل ، وأعرب عن أسفه لهذا الحادث المروع ، وفي الوقت نفسه فتح باب المنزل ويدت منه سيدة متقدمة العمر ..

وقالت لفاريل في لفحة :

ـ يا الله ! لقد حسبنا إنك لن تعود يا دكتور ..

ومضت أمامهم إلى ردهة صغيرة رطبة ، انكسر الضباب في أرجائها فظلال المقادع والأريكة ، وهي كل الأثاث الذي كان بها ..

فقال الدكتور فاريل :

- لقد فضلت أن أحضر زميلاً لي لتبادل الرأي معه يا مسر  
روبرتس .. الدكتور ..  
وسكنت منتظراً أن يذكر الغريب اسمه .

ولكن مايكيل قال في جفاه :

- أين المريضة ؟

وعندئذ فتح باب إحدى الحجرات بفتحة ، وخرجت منه سيدة شابة  
ترتدى ثوباً من الصوف .  
فاندفعت نحو فاريل صائحة :

- أواه يا دكتور .. إنها لا تزال بغير حراك ، وقد نقلناها  
إلى هنا ..

وأدرك مايكيل أنها والدة الطفلة المصابة .  
كان نظر إلى حيث أشارت فرأى المطهى وفي وسطه مائدة صغيرة  
رقدت عليها الطفلة .

فمضى نحوها وبدأ يفحصها ..  
وكان تنفسها ضعيفاً غير منتظم ، وفيها عدا ذلك فلم يكن يبدو عليها  
شيء من مظاهر الحياة ..

ولحق به الآخرون ، فلم يشعر مايكيل بوجودهم ، إذ كان منصرفاً إلى  
فحصه ، وهو يرقص غرائز الطفلة في رفق ويغمى النظر في الجرح العميق الذي  
كان فوق اذنها اليمنى .

ثم فتح بابها المفضة ، وأشعل قداحته أمام عينيها ، ولكنها ظلتما  
جامدين لا تتحركان .

وعاد يرفع رأسها وفحص أعصاب العنق .

ثم أعصاب الذراعين ، حيث وجد الأيسر أكثر رخاؤة من الأيمن .  
وأخيراً .. جعل يختبر الانسحاس العصبي لقدميهما ، في فقرات

حادة سريعة ..

ولم يكن يسمع في الحجرة سوى دقات ساعة المدفأة ، وتنفس الطفلة المضطرب ..

ولاحظ مايكيل ان الحجرة دافئة ، وان المصباح الكهربائي المكشوف المعلق فوق المائدة تنصب أشعته ساطعة قوية فوق وجه المصابة الشاحب .

فنهض من المخدإ قائلًا لفاريل :

- انك على حق ، فهي مصابة يتزلف من الشريان الأوسط .

ولم تكن هذه الكلمات أي معنى لدى الأم ..

ولكنها كانت تشعر بشيء من الطمأنينة وهي ترى مظهره وحركاته القوية التي توسي بالثقة ..

فسألته ضارعة :

- هل ستنجو وتعيش ؟

فربت مايكيل على كتفها في رفق ..

ثم تبادل النظر مع الطبيب قائلًا :

- سوف أجري لها الجراحة الآن ..

وشقيق فاريل ..

فلم يحبه مايكيل ، وإنما تحول إلى مسر روبرتس قائلًا :

- إني في حاجة إلى وعاء كبير لأعمق أدواتي ، وكذلك بعض الملاوات النظيفة ، فإن معي كل ما يلزمني غير ذلك ..

فأمرت خلفه وهو يعود إلى الردهة ، ملقى بتعلیماته .

ونظر الدكتور فاريل إلى الطفلة المسجونة .

ثم قطب وجهه ..

فإذا كان هذا الأحق الشاب يريد أن يقدم ، مدفوعاً بماطلته ، على مثل هذه المخاطرة ، فعلية أن يصدر أوامره كما يشاء .

ولكن مرض وقت طويل منذ أن كان الدكتور فاريل يعامل كطبيب تحت التمرن ا  
وكان مايكل قد مرض إلى سيارته ، فاخراج حقائب الأدوات والمعدات الجراحية ..

كان فكره الآن مركزاً في الطفلة المصابة ، ولم يحصل بخاطره قط أي شيء ، مما كان داخل السيارة فوق المقعد الخلفي .

وقتارول الدكتور فاريل حقيقة ثقبة وهو يقول في وقار :  
- اصنع إلى ... إن الأمر لا يتحقق المجازفة ، فلو مسات اثناء العملية ، أو كنتيجة لها فسوف يكون هناك تحقيق ، وانك لا تدرى قط كيف تنتهي مثل هذه الأمور .

- ليس في الأمر مجازفة ما ، فسوف تموت الطفلة خلال نصف ساعة ، ولن يمكن نقلها إلى المستشفى في هذه الفترة ، بل سوف تموت هنا فعليها ان تحاول إنقاذها بهذه الجراحة قبل ان يحدث ذلك .

- ولكن هذا من عمل أخصائي متخصص ، ولست ازعم لنفسي العلم بهذه الجراحة ، ولذلك ان أمد يدي فيها .  
فقال مايكل خلال شفتيه المطبقتين :

- سوف تكون هل ما برام ..  
وبطيء الشرطي مع الأم رمسز روبرنس في الردهة يرقبون باب المطبى الذي أغلق في أحلام دونهم .  
أما في داخله فقد كانت معدات الجراحة قد تمت ، وخلع مايكل معطفه وتنقأ أكمام قبصه ..

شم دس يديه في قفاز من المطاط ..  
على حين كان كل من الطبيبين قد وضع على وجهه قناعاً أبيض .  
وقد ثبت مايكل على جبهته ذلك المصباح القوي الذي يضيء

الجراحون فوق جيابهم .

وكانت المائدة التي رصت عليها معدات الجراحة منقطة بقطار  
أبيض ..

و كذلك كانت الطفلة أيضاً، مخفية تحت أغطية بيضاء لا يظهر منها  
 سوى رأسها !

ووضع الدكتور فاريل أوعية الماء الساخن وأحواض الصيف ،  
جاهزة للاستعمال ..

ثم نظر إلى الجراح ..

وما لبث أن دس طرف "ربطة رقبته" في صدر قميصه ، ثم قاله  
الأداء الأول !

والمخفي ما يكفي وبدأ العمل في سرعة وحزم .  
كانت عملية دقيقة معقدة ..

وكان يعمل فيما في خفة غريبة ، غافلاً عن كل شيء سوى تلك  
الاعصاب والخلايا الحية المنع الذي يعمل على إنقاذهما .

وكان الدكتور فاريل يقف عند مرفقه ، يتناوله أداء بعد الآخر ،  
ويتنقل الأوعية والأواني المستعملة في شعور متزايد بالاحترام والتقدير .  
فلم يكن هذا الشاب طبيباً حدثاً متخصصاً التقطه في الطريق وسط  
الضباب ..  
كلا ..

إن هذا الرجل يعرف ما يفعله تماماً ، وسوف يكون من دواعي  
الأسف ، أن يحدث شيء غير متوقع ويسلط إلى مواجهة التحقيق معه ،  
ولكنه قد اندره !

وإذا ما علمت نقابة الأطباء يوماً بما حدث فسوف يقول في ضمير  
مطمئن :

- انه قد اعترض في قوله على هذه المخاطر .  
وكان مايككل يستل كل ذره من قوتة وهو يقوم بعمله ، ويناضل الموت  
والرقت معًا .

فقد استغرقت الجراحة وقتا طويلا ، وهو يخشى ان تموت الفتاة وهي  
ما زالت تحت الحدر ..

فقد كان تنفسها المضطرب يزداد خفوا ، وينبغي ان تعطى منهـمـا  
للقلب في الحال ، فقال :

- إن التنفس يوشك ان يقف ، اجعلك شيء من الكوارمين ؟  
قال فاريل :

- ابني لا أحمله قط .

وكانت عينا مايككل مركزة على الطفلة عندما قال :  
- إن هناك بعضا منه في سيارتي ، في حقيقة صغيره بالجيب  
الامامي .

فوضع فاريل ما بيده على المائدة وقال :  
- سوف اذهب لاحضارها .

وما كاد الباب يوصد خلفه ، حتى جدت يدا مايككل في الفضاء .  
ونخيل اليه ان القناع الذي يغطي فيه يوشك ان يختنق ، عندما تبين  
حقيقة ما فعله .

لقد ارسل فاريل إلى السيارة ليبعد كات ، ليبعد الجنة التي سوف تلوده  
إلى المشقة ا

وارتعد مايككل ، وانحنى رأسه ..

وعندئذ انعكست أشعة المصباح من فوق جبهته على رأس الطفلة ، وفي  
الحال عاد إلى العمل فائلا ..

في هذه الظلة تأتي في المقام الأول ، اما شأنه مع كات فسينظر فيه

فيها بعد ..

وطالت غيبة فاريل ، فيها خيل له كثيراً ، وكان العرق يتصلب غزيراً  
من وجهه وجسمه كله !

على حين أوشك تنفس الطفلة أن يخبو إلى الأبد ..

يا له ، ما لدقفات هذه الساعة قد ازدادت ارتفاعاً؟

ولماذا لم بعد هذا الأحق بأ忝يب الكورامي؟

وما يهم ما في السيارة ، متى كانت حياة الطفلة تستل منها؟

وتحتم ما يكمل بين شفتيه ..

ثم تناول أداة أخرى ..

والواقع انه مضت دققتان ، قبل أن يعود الدكتور فاريل مسرعاً ،  
وفي يده علبة معدنية صغيرة ..

وكان وجهه مردداً شديداً الارتفاع

ولكن ما يكمل لم ير سوى نظرة الفزع الرهيب التي ارتسمت في عينيه  
فوق القناع ..

وقابل الطبيب نظرته بشمات ..

وقال في هدوء بالغ :

- إنها لم تكون في الجانب الأمامي ، ولكنني وجدتها؟

إذن فقد علم كل شيء ..

وعندئذ تنهى ما يكمل في ارتفاع وقد اتجاب عن صدره حمل ثقيل ، ثم  
جذب المعنقة من يده وهو يصيح :

- أسرع ؟

فلمما حلقنت الطفلة بالدواء المنبه ، عاد تنفسها يتتردد في انتظام ، ومرعان  
ما خاط ما يكمل الجرح ..

ثم طلب الفمادات ..

وأوله الدكتور فاريل لهاها في صمت  
وفي دهشة جامدة راح يرقب هاذين البدن الشابقين القويتين وهم اتلفان  
الضمادات والاربطة حول الرأس الصغير ..

ثم تثبيتها في موضعها الأخير ، وأزيجت الاغطية إلى الخلف ، وكانت  
الطفلة على قيد الحياة ؟

وانتصب الرجلان في وقوتها ، ثم رفعا الاقنعة ونزعا القفازات ، وراحوا  
ينظفان الآلات والاجهزة التي استخدماها ، ومضيا معًا إلى المفصل بفسلان  
أيديها في صدقة وود ..

بينما انتظر مايكيل صامتا حتى يتسلّم الدكتور فاريل .  
واخيراً قال الكهيل وفي صوته رلة اعجاب وتقدير :  
- لقد قمت بعمل بارع ..

فقال مايكيل وهو يحلف يديه ومرفقيه في إحدى المناشف :

- أرجو ان يكون الأمر كذلك ؟

- أظنك اخصابي في هذه الجراحة ؟

- نعم .. وأحسب الآن انه ستكون لطفولة فرصة قوية للحياة ؟

وكان فاريل يتأمل قطرات الماء المتساقطة من أصابعه في ورائ ..

عندما قال :

- لا ريب أن هذك هذا يوحى إليك بالشعور بأنك قادر على التحكم  
في مصائر الناس .

فقال مايكيل في دهشة :

- هل تشعر أنت بذلك عندما تقدر مريضاً من الموت ؟  
فأجاب الطبيب المجوز :

.. كلام بلاشك ، ولكنني أحساول أن أجده شورك أنت ، اني قد  
يسريني أن تشفى الفتاة ، لما في ذلك من توطيد سمعتي الطبية ، ولكن فيها

عدا ذلك فإن الأمر سواء الذي ، إن تشفي أو تموت ..  
وكان فاريل يرمي الأساور المنتظمة ، وذلك الجبين المرتفع الذي يدل على  
ذكاء خارق .

بينما كان مايكيل يرقد سرقه ، وهو يفكّر أنه منها يمكن من أمر  
فلم تكن الآفة أو الطمع في الريع الشخصي لها الدافع دفعاً هذا الرجل إلى  
التوقف وانقاد طفله صغيرة من الموت ، بينما يعرضه ذلك إلى اكتشاف  
جريئته حتى ..

لما الدافع له فعل ذلك ياوري ؟  
أهو التفكير عن ذنبه ؟  
أو راه بعد أن قضى على حياة تلك المرأة ، شعر بأنه يجب عليه أن ينفذ  
حياة أخرى بدلها ؟

أم أنها مجرد استجابة سريعة لواجب المهنة عند الطبيب ؟  
أنه يبدو كالمؤمن قد أقسم عين المهنة للتر واللحظة ، أم لعلها كبراؤه  
وزهوه واعتزازه بقدرته وكفاءته .  
كلا .. إن الأمر في نظر فاريل أكثر من ذلك بكثير ، انه جنون  
المظلة ؟

ولتكن من ثانية خاصة ، فبعض المصابين به يحسبون من انفسهم الباطره  
وملوكاً ؟ ولكن هذا الرجل ، هذا الطبيب العبقري ، كان من أولئك الذين  
يعتقدون في قدرتهم على تحاكاة الآلهة في تحكمها في مصائر البشر ، وتقرير  
حياة هذا وموت ذاك ..

نعم ، إنه من هذا الطراز ، وما أشد خطط مثل هؤلاء ،  
واحباب مايكيل على ملاحظة فاريل الأخير قالا :  
ـ انتظن أن كل إنسان غيرك يفكّر مثل هذا التفكير ؟  
فهز فاريل رأسه في اتساق وقال :

- إلا أنت ، إنني لا أتكلم عن الشواد ، بل عن الرجال العاديين ، ذوي العقول الصالحة ؟

والتي نظرت سريعة على وجه المجرح ، وقد أصلب حتى غدا كأنما نش من الحجر للصلد ، ثم استطرد :

- دعني أقولها لك كلمة صريحة ، إن الوعاء الذي تستقي منه لعن عشر الناس الطبيعيين ، الخبرة والمعرفة ، واعني عقولنا ، هو من مادة متينة قوية لا تتحطم قط ، أما الآخرون ، مثلك ، فإن لديهم أشبه بقدح من البلور النقيس الذي لا يلبث رغم علو قيمته أن يتحطم في يسر وسهولة ، وللوهلة الأولى ، وفي هذه الحالة فإن من الخير للمجتمع أن يلقي به بعيدا إلى غير رجعة ، بدلاً من أن يبقى حطاماً مقلوباً على أحد الأرصف ، بعد الناس جميعا بالخطر ..

وكانت كلمات الطبيب الأخيرة زاخرة بالمعاني التي لم تفهُم جويس وكان في انتظاره حكم هذا الرجل المعجوز ، الذي يعلم أنه سيحكون حقيقة الاخر في حياته كلها ، قد قدر احتمالات كثيرة ، غير أن أحدهما ليس من نوع التنبية التي وصل إليها الدكتور فارييل الآن ، ومع ذلك فقد قال الرجل ما قاله دون أن تشم نبرات صوته على أنه قضى عليه الموت .. بأن « يلقي به بعيدا إلى غير رجعة » ، بل كان كأنما يقرر حقيقة واقعة اللمبة ..

وأجاب الطبيب جويس في شيء من الترفع :

- إنني لا أراقب على الصورة التي رسمتها الآن ، فإن الطبيب وهو يعالج حالة معينة ويصل بمريضه إلى الشفاء أو إلى الموت ، فلأنما يفعل ذلك في حياد أعمى ، دون أن يدخل في تقديره هل يستحق هذا المريض الشفاء أو الموت ، أو يستخدم شعوره بالعدالة ، أما الذي فعلته اليوم ، وأنت تعلم عن أي شيء أتكلم ، فقد كان عدلاً ، كان يقطن العدالة في نفس الطبيب ، بعد طول سباتها خلال أعوام طويلة من مزاولة المهنة ، لقد تجردت اليوم

من شعور الطبيب ، وارقدت شعار القاضي ، فأجريت العدالة كما ينبغي  
أن تجري ..

فساد الصمت لحظة طويلة كان فاريل خلالها يحدو بنظره متفرسة ،  
وما لبث أن تناول سترته فارتداها وهو يقول بغير اكتراث :

- إنه جنون المعلمة ، لقد كان تشخيصي صحيحاً ، فلأنه جنون أ  
وفي تلك اللحظة تصيب جسم ما بكل ، فقد بلغ مسامها خلاب الباب  
المفلق ، صوت واضح النبرات يقول :

- من هو صاحب السيارة التي توقف في الخارج ؟  
وكان فاريل هو الذي رثب إلى الباب ففتحه في حذر .  
وإذا به يرى شرطياً من راكبي الموتسيكلات ، يتحدث إلى الجالسين  
في الردهة .

على حين كانت الأم ، ومسر روبرتس جالستين في صبر واستسلام ،  
تنظر فتح الباب ومعرفة ما تم للطفلة ؟  
وسمع فاريل وراءه صوت مزلاج الباب الخلفي للمطبخ يفتح ..

فلا أدار رأسه قليلاً ..  
الفى نفسه وحيداً ..  
وكان في قراره نفسه بالغ الاعجاب والتقدير لغريب الراحل .  
فغمغم يقول في أسى :

- ها قد قضى جراح عقري !  
ثم ابتسم راضياً ، وفتح باب الردهة على سمعه !  
وعندقد اندفعت الأم نحو المائدة التي ورقد عليها ابنتها ، وما لبثت  
أن قالت :

- إنها أحسن حالاً يا دكتور ،ليس كذلك ؟

- بلى .. فقد زال الخطر عنها !

- لقد كان عظيمًا ..

- من هو؟

- زميلك الطبيب ، ترى ما اسمه؟ أني لا اعرفه؟

- آه ! هو ؟ ولا أآ ..

- سوف اذهب إلى بيته لشكريه ، وأين يليم؟

- لست أدرى بالمثل ..

وكان الشرطي يتقدم منه ، وملحقيه في يده ، قائلاً :

- هل أنت صاحب السيارة التي توقف بالخارج؟

- كلا ..

- من هو صاحبها إذن؟

فرمده الطبيب في استياء وقال :

- لست أدرى ، لماذا؟

- لقد اوقفها في الطريق دون ان يضي ، مصباحها الخلفي ..

ثم هتف :

- حق كدت ارقطم بها ..

فيبدا الارقباح في هيئي فاريل :

- آه ! أمدنا كل شيء؟

\* \* \*

راح مايكيل جويس يقود سيارته في الطريق الريفي المقفرة ، دون أن تخامره أية ذكرية للفارار ، فقد نسي ذلك الشيء الذي لا يزال ملقي فوق المقعد الخلفي  
ولم تعد به ذرة من الخوف من البوليس ، أو من عواقب ما أقدمت يداه ،

ولأنما كان عقله منصرفًا إلى دراسة مسلكه وتصرفه في الأمر من مبدئه إلى نهايته .

وكان لا يقترب بستعرضه مرة بعد مرة ، في نظره المتفرج المحابي الذي يريد أن يصدر قراراً عادلاً ..

فكان في كل مرة يصل إلى نتيجة واحدة ، لقد رسم خطة هذه الجريمة وارتكيبها في رباطة جأش وسکينة غريبة .  
والقتل في حد ذاته يخرج القاتل من حظيرة القانون ، ومن حظيرة الأفراد الطبيعيين ، ولذلك فإن مجرد ارتكابك هذه الجريمة ، منها كانت دوافعها ، يخرجك من تلك الحظيرة ، ويدل على أنك شخص منحرف العقل ، على أنك شخص مجنون .

ولكنه لا يستطيع أن يقر ذلك ، انه لم يكن مجنوناً ، لقد كان كامل كأي شخص آخر ، وقد دلل على ذلك منذ قليل ، أفشل كان في وسعه أن يحرفي تلك الجراحة الخطيرة لو كان مجنوناً حقاً ؟  
وعاد وجه الطالب في قاعة المحاضرات ، يتراءى له وهو يقول : « انه ككل المصابين يجنون المظمة .. » ثم قوله : « هل كان في مستشفى المجانين ؟ » .

وتلاه وجه كات المتكلص وقد علاه الفزع ، وهي تصريح : « إنك لن تنجو من العواقب قط ، إنك مجنون خطير .. »  
وقتابعت الوجوه أمامه ، إيمان الدكتور فاريل وكانت ، بل انه لا يستطيع ان يسمع اصواتهم ، كانت إيماناً حزينة وتقول :

« أواه يا مايكيل لماذا قدر علينا أن يحدث لنا ذلك ؟ لقد حاولت أن أقنع نفسي بأن شيئاً سوف يحدث فلتستقيم به الأمور ، ولو اني كنت واثقة من أن شيئاً كهذا لن يحدث قط .. »  
كلا ، لقد اختلط الأمر عليه ، فإن إيمان لم تقل هذه العبارة ، وإنما هو

الذى قالها ..

وقد قال الدكتور فاريل :

« من الخير للمجتمع أن يلقي بالقبح بعيداً إلى غير رجعة بدلاً من أن يبقى حطاماً ملقوباً على أحد الأرصف ، يهدى الناس جميعاً بالخطر .. »

وقالت كات :

- « إنك تهدي بالجهانين ، بل أنت بجهنون . . . »  
هذه الكلمات لا تزال تدوي في أذنيه ، فقد ظلت ذات تردد طويلاً ،  
وها هي لا تزال تتردد في مسامعه مع هدير المركب المتصل ..  
ومعها الآن لا تصدر من كات فقط ، وإنما تنبئ من الأصوات المختلفة التي  
لا حصر لها ، فكان كل منها يهتف به : « أنت بجهنون .. أنت بجهنون .. . . . »

وسرت الرعدة في بدنها ، انهم جميعاً على حق .  
وهو إذ يقتضي اخيراً بذلك ، وبأنه بجهنون حقاً ..  
فكان يشعر لحظة براحة وسلام عميقين ، كالتي شعر بها ذات مرة  
مع ليها ..  
وأوقف السيارة ..  
فكفت الأصوات عن المتناف ..

ولأن السكون شامل في تلك القرفة ، فوق صخور الشاطئ ، الجرداء ،  
المختلفة خلف غلائيل الضباب ..  
أما فوق البحر ، بعيداً عن الشاطئ ، فقد انقض الضباب وبدت  
الامواج تتماكل في ضوء القمر وهي تتبع في خطى وثيدة .  
ووقف على حافة الشاطئ ، يراقب الامواج وهي تتلاطم تحته على بعد  
صحيح .  
وكان يجد راحة بالغة في رؤيتها ، وسماع صوت ارتطامها بالصخر ،  
رتيبة متتابعاً .. . .

راحة فهم مدلولها و معناها ، و رحب بها و تلقى إليها ..  
و توافع في موقفه ، فحاول أن يعتدل و يثبت قدميه ..  
ول لكنه مالبث أن كف عن المحاولة ، و اختلطت السماء والأمواج أمام  
نظريه ، و اندفع الهواء يرطب وجهه بسماته الباردة ..

و كان المحيط يرتفع صوبه ..  
وعندئذ فتح ذراعيه كأنما يهم بمعناوه ..  
و أطبقت المياه ثانية فوق رأسه ..  
وعاد الشاطئ فغراً مرحضاً من جديد ..

- ثمت -





